عاصفة الاسلام

اخرجونى الى صحن الدار

انظرفى ملكوت السمآ

.... كمال السيد



عاصفه السلام

كاتب:

كمال السيد

نشرت فی الطباعهٔ:

انصاريان

رقمی الناشر:

مرکز القائميهٔ باصفهان للتحريات الکمبيوترية

الفهرس

عاصفة السلام"اخرجونی الی صحن الدار انظر فی ملکوت السماآ"

اشارة

سرشناسه : سید، کمال، - ۱۳۳۶

عنوان و نام پدیدآور : عاصفه السلام" اخرجونی الی صحن الدار انظر فی ملکوت السماآ/ "کمال السید

مشخصات نشر : قم: انصاریان، ۱۳۸۱.

مشخصات ظاهری : ۲۳۸ص

شابک : ۹۶۴-۴۳۸-۳۶۶-۴ ؛ ۹۶۴-۴۳۸-۳۶۶-۴

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی

یادداشت : چاپ دوم: ۱۴۲۴ق. = ۲۰۰۳م. = ۱۳۸۲

یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس

موضوع : حسن‌بن علی(ع)، امام دوم، ۵۰ - ۳ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : حسن‌بن علی(ع)، امام دوم، ۵۰ - ۳ق. -- صلح با معاویه

رده بندی کنگره : BP۴۰/س۸۶ع۲

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۲

شماره کتابشناسی ملی : م۸۱-۱۹۴۱۶

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحیم

یمکن القول ان المجتمع الاسـلامی فی ذلـک المقطع التـاریخی (۴۰-۳۸) ه.قـد انتخب معاویـة نفسـیا و أقصد بهذا الانتخاب انه وجد نفسه یفکر بطریقة ابتعدت به عن الاصالة فی التفکیر الاسلامی.

و لـذا وفق التقسـیم الحضاری للتاریـخ الاسـلامی أو التقسـیم التاریخی لمسار الحضارة الاسـلامی و فی ضوء مخطط المفکر الجزائری الراحل مالک بن نبی فی تفسیر الحضارة الاسلامیة حیث یشیر الی ثلاث مراحل مرت بها الحضارة الروح - العقل - الغریزة.

تعد سنة ۳۸ ه.و هی سنة اندلاع حرب صفین بأنها نقطة منعطف حاد فی المسار الحضاری للاسلام حیث اتجه المجمع الاسلامی بعدها نحو السقوط.

بل انه اعتبر المرحلة الاستعماریة و سقوط المجمع الاسلامی فی براثن الاستعمار نتیجة لما حصل فی صفین.

و یقول بن نبی ان المجتمع الاسلامی عاش التردد فی الاختیار..

الاختیار الحسم بین علی و معاویـة بین المدینة و دمشق الحکم الدیمقراطی و الحکم الدکتاتوری الفردی و لکن المجتمع الاسـلامی و مع

الأسف اختار الطريق الذی يؤدی به الی القابلية للاستعمار ثم الاستعمار.

من هنا يمكن أن نقيم خطوة الامام الحسن فی التأسيس لحالة من السلام كانت ضرورية من أجل أن يكتشف العالم الاسلامی نتائج انتخابه و ارادته...

ثم ظهرت ملحمة عاشوراء الانسانية لتدخل بزخم حضاری قوی جدا بعد أن دخلت بزخم انسانی هائل فهی حدث انسانی عالمی و لعلنا نستطيع أن نفسر هنا الحديث الشريف: «حسين منی و أنا من حسين».

وورد فی المقاتل: ان الامام الحسين رأی جده يخاطبه يا بنی ان لک درجة فی الجنة مغشاة بنور الله لا تبلغها الا بالشهادة.

فعاشوراء بلورت الضمير الاسلامی و الانسانی و عبأته بقوة روحية و أضحی الحسين رمزا انسانيا خالدا و ملهما.

و قد اشتهرت مقولات المهاتما غاندی و نقل عنه قوله: استقيت صبری من صبر الحسين، و علمنی الحسين كيف أكون مظلوما فانتصر.

ان التحليل وفق المنهج الرياضی لن ينهض فی تفسير حركة الحسين عليه‌السلام و لن يستطيع وفقا لأدواته أن يحيط بهذه الخطوة الانسانية المدهشة و التی تعد اذا حللت وفق المنهج السياسی البحت حركة جنونية غير محسوبة النتائج.

[صفحه ۹]

و لكن الامام الحسين كان يتحرک وفق المنهج الالهی منهج النبوات و الرسالات الالهية، و بعبارة واحدة أنه كان مبهورا بالعشق الالهی هذا العشق الذی دفعه لافتداء الانسانية و تحريرها من أسر الغرائزية و أطواق المادة المثقلة بالطين و الأدران.

تركت الخلق طرا فی هواكا

أيتمت العيال لكی أراكا

فلو قطعتنی بالحرب اربا

لما مال الفؤاد الی سواكا

و نحن نقرأ دعاء عرفات لنجد هياما بالذات الالهية يصل حد الذوبان و التاريخ يرسم مشهدا أخاذا للحسين و هو يمد يده باتجاه الكعبة من علی سفح عرفات كهيئة المسكين و يسجل التاريخ كلمات مدهشة.

«كيف يستدل عليک بما هو فی وجوده مفتقر اليک؟!

متی غبت حتی تحتاج الی دليل يدل عليک؟!

و متی بعدت حتی تكون الآثار هی التی توصل اليک؟!

عميت عين لاتراک»

«ماذا فقد من وجدک؟! و ماذا وجد من فقدک؟!

و ما قيمة أن يربح الانسان العالم كله و يخسر نفسه

فی رواية الشيخ و البحر للروائی الامريكی همنغوای و فكرتها

[صفحه ۱۰]

الاساسية: من الممكن تحطيم الانسان و لكن من المستحيل هزيمته.

تتجلى هـذه المقولة فى رض الخيول صدر الحسـين و تمزيق الجسد الطاهر و لكن الحسـين ما يزال المنتصـر على مر التاريخ و ما يزال يقاتل.

هناك مسألة الوعى و الارادة و نحن نعرف ان مسألة الظلم تحتاج الى بحث فليس كل الأقوام تعشـر بوقع الظلم و الشواهد كثيرة بعض الشعوب تستسيغ الظلم بسبب من فلسفتها يعنى هناك مبررات كافية لامتصاص هذا الشعور من قبيل انها مشيئة الله...ارادة الله...

اذن وجود الظلم وحده لايكفى كمبرر وحيد للثورة.

و انما الشعور بالظلم ثم تأتى مسألة الارادة ربما يحصل وعى بالظلم و فداحته و لكن تغيب الارادة لاسباب منها الخوف الذى هو ناشى ء عن حب الـدنيا..فالتضـحية تحتاج الى تجاوز حب الدنيا و ليس من المصادفات أن آخر محاولات الامام الشـهيد الصدر جاءت ادانة لحب الدنيا.

«ما هى الدنيا؟ مجموعة من الأوهام لكن دنيانا أكثر و هما من دنيا الآخرون».

هناك مسألة ينبغى الالتفات اليها و هى امكانية التأسيس الصوفى اذا صح التعبير الى جانب امكانية التأسيس السياسى.

فهناك نص موثق يقول: انما خرجت لطلب الاصلاح فى أمة

[صفحه ۱۱]

جـدى أريـد أن آمر بالمعروف و انهى عن المنكر فمن قبلنى بقبول الحق فالله أولى بالحق و من رد على ذلك أصبر حتى يحكم الله و الله خيرالحاكمين.

فيما نجد نصا آخر يقول: كان بأوصالى تقطعها العسلان بين النواويس و كربلاء.شاء الله أن يرانى قتيلا و شاء الله أن يراهن سبايا

و قد تحولت هذه المسألة أعنى علم الامام بمصيره الى مسألة كلامية أكثر منها تاريخية.

«ان لك فى الجنة درجة مغشاة بنور الله لا تنالها الا بالشهادة.

رأيت جدى فى منامى و قد أمرنى بأمر و أنا ماض لأمره»

و اذا كانت صـفين تعنى سـقوطا حضاريا و تغيرا فى الاتجاه النفسـى للمجتمع الاسـلامى فان صعود يزيد يكشف عن تغير جوهرى فى الذهنية الاسلامية و انفصالا مريعا بين الارادة و الوعى.

هذا التغير الذهنى لن يدع فرصة للصبر و لا مبررا للتقية بل يستدعى المواجهة السريعة مهما كلف الثمن.

«أود لو غرقت فى دمى الى القرار و أحمل العبء مع البشر ان موتى انتصار».

لقد عمل معاوية بعد انتصاره على ترسيخ ثلاثة مفاهيم كبلت أو شوهت التفكير الحر و الأصيل.

[صفحه ۱۲]

مفهوم طاعة الأئمة، لزوم الجماعة، حرمة نقض لابيعة و هذه المفاهيم جميعا و اجهها الامام الحسـين باسـلوب انسانى مدهش و استطاع الحاق الهزيمة بها و لكن بثمن باهظ جدا.

من هنا نقول أن الدين حسينى البقاء.

هذه المفاهیم هی الاعمدة التی نهضت علیها الخلافة الامویة بعد أن تم افراغها من معانیها الحقیقة.

ألا ترون أن الحق لا یعمل به و أن الباطل لا یتناهی عنه

ان السنة قد أمیتت و ان البدعة قد أحییت

اصبحت طاعة الامام تعنی الانقیاد الی الجهاز الحاکم و حتی لو تمادی فی الظلم بینما التفکیر الأصیل یستدعی وضع الامام فی شروطه الخاصة و ظروفه الطبیعیة کاشتراط العدالة فیه أو توفر عنصر العدالة فیه.

و هکذا بالنسبة الی تعزیز الجماعة الی أی مدی یستمر و هل سیکون مسوغا فی حالة وجود نظام دکتاتوری مستبد غاشم؟

و هل یعد کل صوت یرتفع بالاعتراض علی هذا اللون من الحکم اقداما یهدد وحدة الجماعة؟

ثم یأتی المفهوم الثالث الذی یقضی بحرمة نقض البیعة و نحن نعرف ان البیعة یجب أن تکون فی ظروف طبیعیة باعتبارها عهدا قلبیا و وجدانیا فاذا أخذت البیعة بالقوة فأنها حینئذ تفقد شرعیتها

[صفحه ۱۳]

و شروطها القانونیة.

عائشة زوج النبی صلی الله علیه وآله وسلم تمثل مرکزا ثقافیة وزنه فی حوارها مع معاویة بعد أخذ البیعة لیزید و اجهها بالسؤال الاستنکاری التالی:

- أترضین أن یخلع الناس عهودهم.

- لا أرضی ذلک و لکن علیک بالرفق و التأنی.

فیما یخص الطاعة فهی أن تکون بالرفق.

وکانت صیحات قائد الجناح الایمن فی جیش الدولة تهدر فی ساحة المعرکة یوم عاشوراء.

الزموا طاعتکم و جماعتکم و لا ترتابوا فی قتل من مرق عن الدین و خالف الامام...

والی مدة لیس قصیرة اعتبر الامام الحسین خارجا علی الشرعیة.

و نجد التفکیر الدینی ینحرف بطریقة مقلقة عندما یقول معاویة ان بیعة یزید قضاء و لیس للقضاء الخیرة من أمرهم أی أنه قدر الهی.

غیر ان حرکة الحسین بزخمهاالاخلاقی اضحت مرکز اشعاع داخل الفکر و الضمیر الاسلامی و ستجد أن انعکاساتها لدی المتلقی تابعة الی طبیعة تکوینة فبینما تفوح الورود بالعبیر تحت اشعة الشمس، تموت الجراثیم.

[صفحه ۱۴]

(ان هذا القرآن یهدی للتی هی أقوم) أو هو (رحمة للمؤمنین و لا یزید الظالمین الا خسارا).

عاشوراء ینطوی علی خطاب انسانی خالد مکنه من مواکبة التاریخ و سیواکب الزمن الی ما شاء الله.

و بالرغم منان الاشعات الاولی للثورة عکست جانبها المأساوی الذی فجر مکامن الحزن واسال الدموع حیث نجد آثار الثورة فی کتب ارتدت حلة الحزن فکانت تؤلف و هی تحمل هذه الأسماء التی تنطوی علی مضمون الحزن و الدموع «مثیر الاحزان» «اللهوف» «طوفان البکاء» و «محیط البکاء».

فیما نری العصر الحدیث یکتب عن الامام الحسین؛ فلسفة «الثورة لدی الامام الحسین» ثورة الحسین «ملحمة الحسین» الدم أقوی من

السيف.

مع أن الامام الحسين و منذ البداية يؤكد على رمزية الصراع فلم يكن هناك صراع شخصى أو حتى صراع يرتبط بمقطع تاريخى و ظروف خاصة و انما كان الامام يستخدم هذا التعبير خاصة من حادثة القصر فى المدينة المنورة: «انا أهل بيت النبوة و معدن الرسالة و يزيد رجل فاسق معلن بالفسق و مثلى لا يبايع مثله».

فالامام الحسين يحاول أن يؤسس لشرعية الثورة و مواجهة وضع يشبه مثل وضع يزيد، كما يرمز الى امكانية الاستلهام لأى

[صفحه ۱۵]

انسان تنبض فى ضميره بواعث الثورة لأن يقوم بخطوة تشبه الى حد كبير خطوة الامام الحسين ثم لا يعد ذلك القاء فى التهلكة أو جنونا أو انتحارا.

كالتجربة التى حدثت فى سنة ۱۹۸۰ و كان بطلها الامام الشهيد محمد باقر الصدر الذى استشهد فى ظروف عراقية مشابهة للمشهد العراقى فى السنوات (۶۰-۵۰) ه.

فالكوفة هى أحد العراقين.

قد عرفت فى وقت مبكر جدا مركزا للتشيع و قاعدة لابن الزبير اضافة الى وجود طبقة تؤيد الامويين.

والكوفة هى التى حسمت مسألة الناكثين فى حرب الجمل سنة ۳۶ ه هى نفسها التى أو جدت كارثة التحكيم من خلال تمرد قطاع واسع من الجيش العراقى ثم نجد أسوأ من ذلك فى صراع الامام الحسن مع معاوية و دخول الأخير الكوفة فاتحا و تصل المأساة ذروتها فى فاجعة كربلاء.

واعقب ذلك ظهور التوابين فى ثورة استشهادية فريدة.

ثم ثورة المختار فيما بعد.

و هذه المواقف المتناقصة تعود فى الواقع الى طبيعة النسيج العالم الذى يكون المدينة.

فالكوفة تتألف من نسيج قبلى اضافة الى تنوع فى الاتجاهات

[صفحه ۱۶]

السياسة و المذهبية: الخوارج، الأشراف (و هم محسوبون على بنى‌أمية) و الشيعة من فدائين اهل البيت عليهم‌السلام أو مجرد أنصار سياسيين.

و لذا نجد انطلاق صوتين قويين أحدهما يمجد أهل البيت و آخر يتحمس لقتلهم و النسيج القبلى المتباين المواقف التى تأخذ بنظر الاعتبار مصالح القبيلة قبل كل شى ء أثر سلبا على حالة الانسجام و التضامن فى المدينة و نجد هذا التحليل فى الارشاد للمفيد عندما يتطرق الى ظروف الامام الحسين عليه‌السلام.

فالامام الحسن وجه نفسه أمام شيعة والده مسؤلا ـ و وجد الخوارج يشحذون السيوف لخوض الحرب ضد معاوية و لذا نجدهم يتجمعون حوله عندما كان الامام يستعد للحرب و هناك فريق لاهم له سوى جمع الغنائم اضافة الى شرائح واسعة من سكان المدينة تعيش فى حيرة من أمرها و لاتدرى ماذا تفعل كما لاننسى وجود أفراد يتلقون مواقفهم من زعماء القبائل فقط.

ويجب الاشارة الى أولئك الذين كانوا لا هم لهم سوى جمع الغنائم فهؤلاء كانوا يؤلفون شبه أغلبية و قد حصلوا اثناء موجة الفتوح

على غنائم وفيرة وفرت لهم عيشة رغيدة بدأ تنحسر مع وصول الامام على الكوفة و خوضه ثلاثة حروب داخلية و لذا كانوا ينظرون اليه باستياء و هذه الحقيقة صرح بها الامام الحسن عليه‌السلام فى أحدى خطبه.

[صفحه ۱۷]

و لذا تبلور قرار السلام والصلح مع معاوية فى أذهانهم بعد حرب النهروان و قد استغل معاوية هذا التوجه على أحسن وجه.

و هناك ما ينبغى الاشارة اليه و هو أن مدينة الكوفة اكتسبت ثقلا سياسا من خلال ما افرزته حركة الفتوحات و الانتصارات الباهرة و القضاء على أكبر امبراطورية فى الشرق، و لذا نجد هذه المدينة تمارس حالة من الهيمنة فى القرار السياسى و تفرضه على المدينة المنورة.

و قد طبعت السذاجة فى التفكير مواقف هذه المدينة التى ظهرت فى بعض الاحيان مغلوبة على أمرها فكانت حركتها السياسية منفعلة تتخذ القرار بسرعة بسبب حساسيتها، لكنها سرعان ما تتراجع و تنقع بما يقال لها، و تستلم ثم سرعان ما تثور.

و نجد هذا واضحا فى الفترة التى يصل فيها مسلم بن عقيل و حتى تصفيته.

فعمار بن ياسر لم ينجح فى ادارة الكوفة بسبب صفائه و اخلاقه و سعد بن أبى وقاص و هو شخصية غير سياسية اخفق هو الآخر لكننا سنجد المغيرة بن شعبة الفاجر على تعبير عمر بن الخطاب يستمر فى حكم المدينة مدة طويلة نسبيا.

و سنجد الامام على يواجه صعوبات فى حكم الكوفة مركز الخلافة ثم يصرح بانه يعرف الطريق لكنه لا يريد اصلاح الكوفة

[صفحه ۱۸]

بفساد نفسه.

ايتها الفرقة التى اذا امرأت لم تطع و اذا دعوت لم تجب...لله أنتم أما دين يجمعكم أما حمية تشحذكم؟

و لذا يمكن القول ان محنة الامام الحسن انما هى استمرار لمحنة والده العظيم و ان مجده عليه‌السلام يكمن فى صيانته لوحدة الامة الاسلامية و منحها فرصة لتختبر نفسها تجربة الخط الأوى و تناول ثماره المرة القاتلة و من ثم العودة الى الذات الى صاغها سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فى ضلال عترته الطاهرة.

و أخيرا فان خطوة الامام الحسن فى ظروفه لا تقل تضحية عن خطوة شقيقه بعد عشرين سنة كما ان كلا الخطوتين تتكاملان فى طريق انقاذ الحضارة الاسلامية من الأفول الأبدى.

كمال السيد

[صفحه ۱۹]

ميلاد مدينة

اشاره

فى عام ۱۷ ه كانت الجيوش الاسلامية فى الشرق قد استكملت فتح المدائن عاصمة الساسانيين مدة أف عام على شواطى دجلة بل و استكملت فتح العراق الذى يقع فى الاقليم الثالث بحسب التقسيم الجغرافى القديم. [۱] .

و أملت الضرورات العسكرية و اسباب أخرى بناء قاعدة حربية تكون منطلقا لادامة حركة الفتح الاسلامى ترتبط مباشرة بالمدينة المنورة عاصمة الدولة الاسلامية و بناء على شكوى من القائد امام للقوات الاسلامية فى الجبهة من وخومة البلاد و اثرها السلبى على الاستعداد القتالى للجنود العرب بسبب طبيعتهم الصحراوية برزت الحاجة الى انتخاب مكان آخر.

و جاء جواب الخليفة الثانى: «ان العرب لا يوافقها الا ما وافق ابلها من البلدان: فابعث سلمان رائدا و حذيفة – و كانا رائدى الجيش – فليرتادا منزلا بريا بحريا ليس بينى و بينكم فيه بحر ولا جسر» [۲] .

[صفحه ۲۰]

و قد كان سعد بن أبى‌وقاص القائد العام قد فكر فى اتخاذ المدائن قاعدة لقواته ثم تراجع عن ذلك بعد أن رأى و خومتها و وخومة دجلة التى لم تكن تتناسب الجنود العرب اضافة الى كثرة زوابعها التى تثير الغبار و انتشار الذباب [۳] .

و عندما انطلق سلمان و حذيفة كلا من جهة بحثا عن مكان مناسب التقيا فيما بعد فى منطلقة الكوفة و لم تكن انذاك سوى فلاة متاخمة للصحراء و بها ثلاثة أديرة فقط. [۴] .

و لكن المصادر التاريخية أيضا لاتكتفى بحصر الهدف من بناء الكوفة أن تكون مجرد قاعدة عسكرية و منطلقا للفتوح بل و اتخاذها داراالهجرة يقطنها المسلمون برغبتهم.

و هكذا بدأ البناء فى المسجد اولا مركزا للمدينة الجديدة و من المركز انطلقت أربعة سهام من أحد الرماة المشهورين لتكون الجهات الاربعة حدودا للمسجد و قد حددت منابت الهام بخندق حتى لا يقتحمه أحد ببناء.

و قد بنتيت منازل المدينة ابتداء بالقصب و لكن الحريق الذى التهم ۸۰ كوخا دفع السكان الى بناء منازل جديدة من الطين و جاءت موافقة العاصمة على ذلك.

[صفحه ۲۱]

أما الطرق الكبرى فى المدينة فكانت بعضها بعرض أربعين ذراعا و بعضها ثلاثين ذراعا و عشرين ذراعا فيما كانت الازقة على نسق واحد و بعرض سبعة أذرع.

و كانت الطرق بمثابة حدود للمناطق السكنية التى توزعتها القبائل العربية التى تشكل مجموع ا لجيش الاسلامى آنذاك.

و فى غضون فترة وجيزة ظهر قصر سعد الى جانب المسجد و قد نقلت صخوره من الحيرة من ابنية الاكاسرة و الاثار الباقية.

و عدد الطرق الكبرى خمسة عشر طريقا تنتهى جميعا الى المسجد ما بين الطرق الكبرى هذه استوطنت القبائل العربية كما يلى:

المنطقة المتاخمة لصحن المسجد سكنت قبيلتا سليم و ثقيف ثم همدان و بجيلة و تيم اللات و تغلب.

و ما يلى القبلة استقر بنو أسد و النخع ثم كندة و الأزد و نزل فى شرق الصحن الانصار، و مزينة و تميم و محارب.

و على غربى الصحن بجالة وبجلة وجديلة من القبائل ثم جهينة و لم يكن لصحن المسجد سور أما الأسواق فكانت مجرد ميادين خالية من البناء و كان القانون الذى سنه الخليفة الثانى يقضى بأن تكون «الاسواق على سنة المساجد من سبق الى معقد

[صفحه ۲۲]

فهو له حتى يقوم الى بيته أو يفرغ من بيعه» [۵] .
و هكذا ولدت مدينة الكوفة و ظهرت فى الخارطة متاخمة للصحراء و على مقربة من نهر الفرات ترتفع عن سطح البحر ۲۲ مترا فهى مشرفة على النجف ذلك الوادى المالح، كما أنها ترتفع على المسطحات المائية فى الجنوب العراقى أو ما عرف باسم بطائح العراق التى تنتهى فى البصرة.
و أرض الكوفة حصباء رمالها حمراء خاصة فى الجهة التى يقع فيها مجسد السهلة الذى يقع بدوره فى الشمال الغربى من المدينة أما الجهة الغربية فقد تجمعت فيها رسوبات المياه الغرينية أو ما عرف باسم الملطاط. [۶] .
و قد توفرت الكوفة على تضاريس متنوعة فهى على حدود الصحراء من جهة و المسطحات المائية و وفرة منابع المياه و ارتفاعها عن سطح البحر فالتقت هذه المظاهرة الطبيعية لتخلق لها مناخا طيبا جعل الكوفيين يتفاخرون به أمام البصريين خاصة بعد الصراع السياسى الذى أفرزته حرب الجمل الاهلية بل أننا سنجد مدرستين فى اللغة تتصارعان مدرسة الكوفة و مدرسة البصرة؛ سيبويه و الكسائى.

[صفحه ۲۳]

و ليس هذا مدعاة للفخر بقدر ما أفرزته المعارك الكبرى و الانتصارات الساحقة التى حققتها الجيوش الاسلامية المتقدمة فمارك مثل الجسر و القادسية واحتلال المدائن و معارك نهاوند و جلولاء جعلت من الكوفة رقما صعبا يحسب له ألف حساب و سنجد الكوفيين فيما بعد يتدخلون فى كل الشؤون السياسية و يتحكمون بقرارات العاصمة أو يؤثرون فيها بشكل قوى خاصة فى حقبة عثمان الخليفة الثالث.

النسيج الاجتماعى... شىء من التفصيل

من خلال السياق السابق نعرف أن الشريحة الهامة و الرئيسية لسكان الكوفة هى القبائل العربية المجاهدة و التى خرجت ظافرة من معركة القادسية الحاسمة فى معارك لافتح الاسلامى اذ استكملت فتح الأرض العراقيه.و لذا فاننا سنشاهد سبع مجاميع قبلية تقتسم جغرافية الكوفة و هو تقسيم عسكرى سيبقى معتمدا فى توزيع العطاء و الغنائم...
و لاسباب كثيرة حدثت تغييرات فى نفوذالقبائل فبينما يتنامى نفوذ بعضها يتراجع نفوذ البعض الآخذ و يذوب ثم يتلاشى.
حتى اذا تسنم الامام على الخلافة.و اتخذ من هذه المدينة عاصمة كبرى للبلاد حاول دمج القبائل و الغاء كل ما يفرق بينها و صهرها فى بوتقة المجمع الاسلامى المتجانس فى الحقوق

[صفحه ۲۴]

والواجبات والحد من التعصب القبلى و عادات من قبيل الثأر و التفاخر القبلى و لكن سيف الخوارج المسموم أوقف السعى الحثيث و المخلص لذلك الانسان العظيم.
و يأتى بعد العرب الايرانيون بتشكيلاتهم المتنوعة و اليهم يعود الفضل فى اضفاء الطابع المدنى على الكوفة و من دونهم تستحيل الكوفة الى مجرد قاعدة عسكرية أو ثكنة كبرى للجيوش المقاتلة فى الجبهة الشرقية.

و النسيج الايرانى يتألف ممايلى:

أولا: الموالى و هم مجموع الشعب الايرانى الذى لم يواجه النقدم الاسلامى بالسلاح ولم يشترك فى أية مواجهة أو معركة و اعتنق الاسلام.

و بالرغم من بقاء بعضهم على دين الاجداد فاصبحوا من أهل الذمة و لكنهم سيذوبون شيئا فشيئا فى خضم الموالى بعد أن يعتنقوا دين الاسلام و يخلصوا له.و الموالى سوف يتوزعون ضمن شرائح المجتمع الاسلامى، كما يلى:

أ - أسرى الحرب: و هؤلاء كانوا عبيدا للفاتحين بحسب قوانين الحرب السائدة آنذاك و لكنهم سوف يستعيدون حريتهم بعد اعتناقهم الاسلام مع بقائهم ملزمين بالولاء للقبائل التى أسرتهم و هذه الشريحة هى التى تنتطبق عليها مفردة الموالى

[صفحه ۲۵]

بشكلها الحقوقى و القانونى.

ب - الفلاحون و القرويون من الذين تهدمت قراهم أثناء الحرب فنزحوا الى الكوفة للبحث عن عمل فى هذه المدينة الناشئة.

ج - الحرفيون و الصناعيون و يشكلون مجموعة كبيرة جاءت الى الكوفة و هى تعلم حاجات المدينة التى بدأت تتشكل الى مختلف الصناعات الحرفية.

د- الاساورة وهم فرق عسكرية ليس ايرانية شكلها «يزدجر» و جاء بها من السند و معظمهم من الفرسان و قد انضمت الى هذه الفرق مجاميع من الايرانين حتى لم تعد مسألة العرق و القومية ذات بال لديهم.

و يمكن القول أنه الى عقود عديدة ظل العرب سادة الكوفة بالرغم من تنامى عدد السكان من غير العرب و لذا قد يرى العربى يخرج من بيته و حوله عشرة الى عشرين رجل من مواليه و اتباعه و لا ننسى و نحن نتحدث عن النسيج الاجتماعى الكوفة أن نشير الى الهنود النازحين من سومطرا أو الذين اجبروا زمن الدولة الساسانية على أداء وظائف عسكرية و استخدامهم دروعا بشرية ضد هجمات القراصنة على سواحل ايران الجنوبية.

و هؤلاء عوملوا فى زمن الفتح نفس معاملة الاساورة و اسندت اليهم مهمت امنية و هؤلاء عرفوا فى تاريخ الاسلام بالزط

[صفحه ۲۶]

و «السيابجة» و قد قطن بعضهم الكوفة و آخرون اختاروا «ذى قار» و انضم بعضهم الى الحشود العسكرية التى قادها الامام على الى البصرة لمواجهة التمرد فى البصرة سنة ۳۶ ه فيما عرف بالتاريخ بمعركة الجمل.

و قد اختار الزط التحالف مع بنى حنظلة و منهم من استوطن الكوفة و اسند اليهم الوالى عثمان بن حنيف حراسة خزائن الدولة و تعرضوا لمذبحة مروعة على يد عبدالله بن الزبير الذى نفذ غارة ليلية غادرة تم فيها قتل اربعين مع قائدهم و كان رجلا معروفا بالصلاح؟ [۷] .

و بالرغم من تحالف بعض الهنود هؤلاء مع قبائل تميم التى عادت الامام على و لكنهم اختاروا جبهة الامام فى الصراع [۸] و لعل هذا دفع معاوية الى ترحيل مجاميع منهم الى سواحل الشام ليصد بهم الغارات الرومية و يكون منهم درعا بشريا.

دور الكوفة السياسى

یمکن تشبیه العمل العسکری فی عالم النفوذ و القوة بالعمل الزراعی الذی سیفرز فیما بعد أو فی الاثناء عملا سیاسیا

[صفحه ۲۷]

و موسم لحصاد الامتیازات و الأدوار الفاعلة فی مسار العمل السیاسی.

و قد تألقت الکوفة فی زمن الفتوحات الاسلامیة و بلغت ذروة المجد، لیس فی التقدم فی الجبهة الشرقیة و انما فی اغاثة و امداد الجبهة الغربیة فی معارک الروم.

و یحق للکوفة اذن و قد قضت علی دولة الساسانیین فی الشرق وامدت القوات الاسلامیة التی تقاتل فی الغرب برجالها الاشداء لتحقیق انتصار ساحق فی تحریر مناطق شاسعة من سیطرة الروم الیزنطیین یحق لها أن تزهو بنفسها و یکون لها فی نفوس الجمیع هیبة و شأن کبیرین.

و قد أدت الفتوحات الواسعة وانفتاح القبائل العربیة علی کنوز ایران الاسطوریة و تدفق سیل الغنائم الی خلق طبقة مترفة هی الأشراف الذین ارتبطوا مصلحیا باستمرار حرکة الفتوح و وجود نظام یحمی مصالحهم بالرغم من أنها منحتهم ثقلا سیاسیا جعلت للکوفة حقا - کما تتصور - فی التدخل فی شؤون العاصمة کما تجلی ذلک فی الثورة علی الخلیفة الثالث.و من مظاهر هذه الثقل العسکری و السیاسی انها حسمت تمرد الناکثین فی البصرة کفعل ایجابی لکنها هی نفسها خلقت کارثة التحکیم.

و ضغطها علی الامام علی بوقف العملیات الحربیة بینما کانت قوات الشرعیة تتقدم نحو النصر النهائی بخطی واسعة.

[صفحه ۲۸]

و بالرغم من أن الکوفة عرفت فی زمن مبکر بأنها مرکز للتشیع لکنها انطوت علی مجموعة من التناقضات التی تصعد بها الی ذروة المجد و تهبط بها الی حضیض الانحطاط.

فقد قضت کما ذکرنا علی تمرد الناکثین فی البصرة و لکنها خلقت کارثة التحکیم فی صفین، ثم اضطرت الامام الحسن فیما بعد الی التنازل عن الخلافة و اعقب ذلک مأساة عاشوراء و مصرع الامام الحسین، ثم نجد صحوة للضمیر و عودة للارادة فی واقعة عین الوردة فیما عرف فی التاریخ بثورة التوابین ثم جاءت ثورة المختار.

و هذه المواقف المتناقضة تعود فی الحقیقة الی طبیعة النسیج العام الذی یؤلف مجتمع الکوفة.

فهی بشکل عام نسیج قبلی و بسبب بعض الحوادث ظهرت تیارات سیاسیة و مذهبیة فاذا کانت البصرة عثمانیة الولاء فان الکوفة عرفت بولائها لأهل البیت خاصة بعد قدوم الامام علی خلیفة و اتخاذها عاصمة للدولة الاسلامیة ثم ظهر تیار الخوارج فی مقابل کتلة الأشراف الذی ارتبطوا بسبب مصالحهم بالاتجاه الاموی فیما تألقت شریحة قویة فی مجتمع الکوفة بسبب ولائها لأهل البیت.

و سنجد أن صوتین قویین یرتفعان فی الکوفة بنفس الوقت صوت یمجد أهل البیت و آخر یتمحس لقتلهم و بسبب هذا

[صفحه ۲۹]

التناقض فی الاتجاه و التفکیر، تمزق النسیج العام للکوفة.

و ربما من السابق لآوانه أن نقول انا الامام الحسن وجد نفسه بعد مصرع والده مسؤولا امام الشیعة و مصیرهم فیما کان الخوارج

يشحذون سيوفهم للحرب مع معاوية و هم لم يبايعوا الامام الحسن خليفة و انما قائدا عسكريا فقط يحارب معاوية.
فيما كان فريق من أهل الكوفة لا هم له سوى جمع الغنائم اضافة الى قطاعات واسعة من السكان كانت تعيش فى حيرة من أمرها و لا تدرى ماذا تفعل اضافة الى و وجود أفراد كثيرين يتلقون الأوامر من زعماء قبائلهم فقط.
و هذه التشكيلة اللامتجانسة هى التى جعلت مواقف الكوفة تتذبذب بين السلبية و الايجابية اذ تبرز فى بعض المقاطع التاريخية أبية شامخة و فى بعض منعطفات التاريخ خائفة ذليلة فهى ليست راهبة قديسة و لا غانية لعوب و انما جعلتها الاقار مرآة يتجلى فيها سمو الانسان و تسافله...عروجه الى ذرى المجد و سقوطه فى هاوية الذل و الخنوع.
و مع أن الظروف التاريخية مثلا-اثرت فى تغيير ولاء جارتها البصرة التى تتقاسم معها العراق [۹] اذ كانت عثمانية الاهواء ثم تبلور انتماؤها الجديد الى جهد المعتزلة؛ أما الكوفة فقد عرفت

[صفحه ۳۰]

كمركز من مراكز التشيع، بالرغم من عصف الظروف المريرة، مع التأكيد على نقطة حيوية أن التشيع الذى طبع الكوفة بطابعة كان سياسا الى حد كبير و فى هذا اختلاف عن التشيع الذى ينظر الى الأئمة من أهل البيت أئمة ارتضاهم الله قادة للناس بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم.
نتوقف عند هذا القدر لنسجل ان الكوفة مدينة ولدت فى مثل هذه الظروف التاريخية و سوف نكتشفها اكثر فاكثر لدى البدء بفصول الحوادث المزلزلة التى وصلت ذروتها فى الثورة على عثمان.
سينطلق الى المدينة المنورة و نحاول من هنا متابعة ما يمكن متابعته لرسم صورة واضحة لقصة الحرب و السلام مع الالتفات الى ضرورة تكوين ملامح عن شخصية انسان ولد مع موعد مع القدر سيقف فيه وحيدا مقهورا فى ليالى دامسة من تاريخ الاسلام...ليالى شهدت عواصف شديدة من الاطماع و الخنوع و الانشداد الى دنيا تافهة لا تساوى حذاء متهرئا فى نظر الاحرار [۱۰] .

و مضات الماضى و أشعة المستقبل

السماء ما تزال مرتبطة بالارض و شمس تضىء طريق الذين

[صفحه ۳۱]

هاجروا من ديارهم لتصحيح مسار العالم رسول من السماء هو جبريل ما يزال يحمل كلمات الله المضيئة و رسول الأرض محمد يشع قلبه بالايات...آيات الله...
التاريخ الهجرى ما يزال فى انطلاقته الكبرى و قد نصر الله عباده المؤمنين ببدر..ان شمس الاسلام تشع بالنور و الدف و رمال الجزيرة العربية على موعد لميلاد حضارة انسانية ستغمر العالم كله...لقد انقدحت الشرارة شرارة لروح الخالدة التى ستطهر الانسان من كل ما يدنس شرفه و مجده الانسانى..
اطل شهر رمضان من السنة الثالثة للهجرة و تألقت لياليه الحالمة..السماء تزخر بنجوم تشع من أغوارها السحيقة..و صفاء يغمر المدينة المنورة و قد طافت آيات القرآن بساتين النخيل و الاعناب...
فاطمة صائمة و الهلال اطل كابتسامة سماوية ينمو و جنين فى بطنها يتحرك يفيض بالحياة و الأمل و القلوب تنتظر كوكبا سيشرق

على الدنيا.

كبر الهلال و نما حتى اذا اصبح بدرا حانت لحظة المخاض و الميلاد...

و يشع الأمل فى بيت على و قد اطل على الدنيا صبى فى وجهه سيماء محمد.خف النبى الى منزل ابنته و صهره و البشرى تشع فوق جبينه..و هتف بأسماء و كانت فى منزل فاطمة:

[صفحه ۳۲]

- هاتى الى ابنى

و عندما سأل النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن اسمه قال على:

- ما كنت لاسبق رسول‌الله

- سمه حسنا

كانت فاطمة سعيدة من أجل والدها لقد رأت الفرحة تطوف فوق محياه ولعله تذكر اللحظة التى قدمت فيها خديجة ابنتها اليه و يوم بشره جبريل بالكوثر.

و فى غرة شعبان من العام التالى ولد الحسين.

و ينشأ السبطان فى ظل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكانا ريحانتاه من الدنيا، و انفحت عيونهما و قلباهما على التاريخ الهجرى بكل امجاده و فصوله المثيرة يتشربان آيات السماء و ثقافة الاسلام البلاغ الالهى الأخير و اذا كان الانسان ابن البيئة التى نشأ فيها فقد نشأ الحسين فى تربة طارهة فأبوه على سيد الأوصياء و امه فاطمة الزهراء سيدة النساء فلا عجب أن يضع الصبى خطاه فى طريق التكامل الانسانى الذى يبلغ بالانسان أعلى درجة ينشدها و يرنو اليها.

انظروا اليه انه يحث الخطى الى مسجد جده مع أخيه و شقيقه الحسين حتى اذا اجتازا على شيخ يتوضأ فلا يحسن الوضوء اذا به يتبادل نظرات ذات معنى مع أخيه و يفتعلا نزاعا صوريا و كل يقول لأخيه أنت لا تحسن الوضوء ثم يلتقتا الى

[صفحه ۳۳]

الشيخ قائلين أن أحكم بيننا أينا يتوضأ أحسن...و يتوضان أمامه بالطريقة يتوضأ بها جدهما و أبواهما و أدرك الشيخ الحقيقة فقال: كلاكما تحسنان أما الذى لا يحسن الوضوء فهو أنا...انا الشيخ الجاهل.

و ان المرء يشعر بالدموع تتجمع فى عينيه شوقا اليهما..الى هذين السيدين انهما يعكسان ثقافة الامام فى اسلوب الدعوة و نشر المعرفة و الخير...

و قد وهب الله هذا الصبى المبارك ذاكرة حية جعلته يتشرب سيرة جده و كلماته و ما جاء به جبريل من السماء..

سمع جده ذات يوم يقول لرجل: «دع ما يريبك الى ما لا يريبك، فان الشر ريبة و الخير طمأنينة» [۱۱] .

و تعلم من جده اذا سأله أحد حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول. [۱۲] .

أن مجد الحسن سوف يتألق من شجرة أصلها ثابت و فرعها فى السماء.

ان ايات الله ترسم لنا لوحة انسانية تشع جلالا و جمالا.أن أجر الرسالة المحمدية هو الحب..الحب لأهل البيت [۱۳] ،...قد

[صفحه ۳۴]

شهدت السماء بطهرم و نقائهم. [۱۴] .

فی حدود السنة السابعة للهجرة جاء وفد مسيحی مؤلف من ستين مسيحيا يتقدمهم العاقب (الزعيم السياسی) و الأسقف (الزعيم الدينی).

و دعا النبی ضيوفه القادمين من اليمن بلغة السماء: (قل يا أهل الكتاب تعالوا الی كلمة سواء بيننا و بينكم ألا نعبد الا الله و لا نشرك به شيئا و لا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله)

ان الحرية الحقيقة تكمن فقط فی العبودية لله و عندما يعبد الانسان غير الله فانه سوف ينسحق و يهبط الی الحضيض الی ما هو أدنی بكثير من الحيوانية.

و لكن الوفد لم يصغ الی كلمات الله و لم ينفك يردد أن يسوع هو ابن الرب فيما الحقيقة ان المسيح بن مريم لم يكن الا رسولا قد خلت من قبله الرسل و ان مثله مثل آدم خلق من الطين..

و هبط جبريل يحمل نداء السماء قائلا: (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و ابناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله علی الكاذبين) [۱۵] .

[صفحه ۳۵]

و اشرقت الشمس و خرج النبی فی موكب عجيب...كان يحمل سبطه الحسين و قد أخذ بيد سبطه الحسن و كانت فتاة تمشی مطرقة خلف والدها العظيم و كان زوجها يمشی خلفها.

وقف الاسقف مشدوها و هو ينظر الی وجوه مضيئة فی فلاة تمتد بامتداد الافق البعيد و كانت الحشود تراقب من بعيد ما يجری.

و يجثو النبی صلی الله عليه وآله وسلم و خلفه اهل بيته و قال النبی مخاطبا اله الاطهار: اذا أنا دعوت فأمنوا.

تمتم الأسقف قائلا: جثا و الله كما يجثو الأنبياء.

و خاطب النصاری: انی لأری وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا لأزاله..انظروا الی الشمس..لقد تغير لونها و الأفق تنجح فيه السحب الداكنة، و الريح تهب هائجة سوداء حمراء و هذه الجبال يتصاعد فيها دخان..لقد أطل علينا العذاب...

انظروا الی الطير و هی تقیء حواصلها و الی الشجر كيف تتساقط أوراقها و الی الأرض كيف ترجف تحت اقدامنا..

و ينسحب الوفد فی اللحظات الأخيرة و قال النبی: و الذی نفسی بيده ان العذاب تدلی علی أهل نجران و لو لاعنوا لمسخوا قردة و خنازير و لا ضطرم عليهم الوادی نارا» [۱۶] .

ان لأهل هذا البيت مجدا أی مجد: مجدا خلده القرآن الكريم

[صفحه ۳۶]

فی سورة الانسان فعندما مرض الحسنان و جاء لعيادتهما النبی تحفه كوكبة من أصحابه قالوا لعلی لو نذت لله أن عافی ولديك فنذر علی صوم ثلاثة أيام شكر الله و تابعته الصديقة و جاريتها فضة...و لما أبل الصبيان من مرضهما و حان وقت الوفاء بالنذر انطلق علی الی شمعون و كان رجلا من خيبر.خيبر التی فتحها علی بسيفه و قلبه المفعم بايمان الرسالت الالهية جاء علی الفاتح العظيم الی شمعون

یقترض منه ثلاثـة أصواع من شـعیر، الرجـل الـذی اقتلع بـاب «القموص» و قهر خیبر جـاء یطلب حفنـة من الشـعیر و امرأته بنت محمد تملک «فدک».

قال شمعون وقد هزته المفاجأة: هذا هو الزهد الذی أخبرنا به موسی بن عمران فی التوراة...

طحنت فاطمـة صاعا..الرحی تـدور و فضـة فتاة تعیش فی منزل فاطمـة تجمع الـدقیق و یصـیر الدقیق عجینا ثم یصـیر اقراصا لکل صائم قرص شعیر...النجم المهیب یهوی باتجاه المغیب...

یرسل اشعة الوداع معلنا ختام یوم من حیاة الانسان و الأرض..

الأسـرة القائمة تسـتعد للافطار بسم الله...لقمة خبز تقیم أود الجسد الآدمی لیکمل رحلته باتجاه النور و ینطلق من وراء الحجرات هتاف انسان جائع:

- مسکین اطعمونی اطعمکم الله...

الصائم هو وحده الذی یدرک آلام الجیاع فی اللحظات التی

[صفحه ۳۷]

تسبق الافطار تتلوی المعدة الخاویة تبحث عن شیء.

قدم الصائمون خبرهم و أفطروا علی الماء و استأنفوا رحلة الجوع..

الجوع هو زاد المسافر فی ملکوت السـموات..هناک تلال النور و بحیرات تزخر بالنجوم..الجوع هو وحـده الـذی یلجم الشـیطان القابع فی الظلمات..

و یمر یوم آخر و الصـائمون فی رحلـة البحث عن ینـابیع الأـزلی....کـل شـیء یؤول الی الزوال الا الحب...الحب نـداء الله الی النفوس البیضاء الطاهرة...

و یطرقهم یـتیم...یالوعـة الیتیم فی ساعـة الغروب...الکائنـات تعود الی أوکارهـا و الطیور تؤوب الی أعشاشـها و الاطفـال الی أحضـان مفعمة بالدفء و الحنان...

فی ساعـة الغروب تتجمع الـدموع فی عیون الیتامی کسـماوات مشـحونة بالمطر...یتجمع البکاء فی القلب ثم یتصاعد عبر الشـرایین الی العیون...فکیف اذا اجتمع الحزن مع الجوع...و هل تتحمل نفوس الاطفال البرد و الجوع!!

و نادی الیتیم فی لحظة الغروب الحزین:

- اطعمونی مما اطعمکم الله.

هناک فی اعماق النفوس البیضاء کنوز من اللذة أین منها لذائذ البطن..فکیف مع نفوس براها الجوع حتی تکاد تسطع

[صفحه ۳۸]

کالنجوم!

وهب الصائمون خبزهم..و یبیتون لیلتهم و قـد اسـتأنفوا رحلة الجوع..رحلة مضـنیة تکاد تحطم الجسد و تحیله الی حطام و لکن الروح تتوهج سطوعا حیث یشهد عالم الانسان اللانهائی انتصار الملائکة و هزیمة الشیطان الی الأبد.

السـماء تراقب نفوسـا فی الأـرض تطوی مسافات الجوع وفـاء للنـذر فی الیوم الثالث ینادی أسـیر ینشـد لقمـة خبز أو تمیرات الاجساد

الصائمة ترتعش امام الجوع...العیون غائرة و الوجود بدا مغمورا بالضباب و النفوس تشتد سطوعا و الورود تضوعا فاطمة تزداد نحولا..غارت عیناها و قد زاد صوتها و هنا علی وهن هی قائمة تصلی فی المحراب.

فی منزل آخر الانبیاء فی التاریخ هبط جبریل یحمل سورة الانسان علی الانسان و انها: بسم الله الرحمن الرحیم

هل أتی علی الانسان حین من الدهر لم یکن شیئا مذکورا

انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتلیه فجعلناه سمیعا بصیرا.

انا هدیناه السبیل اما شاکرا و اما کفورا

انا أعتدنا للکافرین سلاسلا و أغلالا و سعیرا

ان الأبرار یشربون من کأس کان مزاجها کافورا

عینا یشرب بها عباد الله یفجرونها تفجیرا

یوفون بالنذر و یخافون یوما کان شره مستطیرا

[صفحه ۳۹]

و یطعمون الطعام علی حبه مسکینا و یتیما و أسیرا

انمان نطعمکم لوجه الله لانرید منکم جزاء و لاشکورا

انا نخاف من ربنا یوما عبوسا قمطریرا

فوقاهم الله شر ذلک الیوم و لقاهم نصرة و سرورا

و جزاهم بما صبروا جنة و حریرا

ان هذا کان لکم جزاء و کان سعیکم مشکورا

و من المؤکد ان الانسان یعیش حالة من النعیم لاتوصف بعد انجاز أخلاقی کهذا..حالة تتسجد فی صورة جنة و رافة الضلال زاخرة بالاشجار الخضراء الزاهیة و قد مدت عروقها فی کثبان من المسک، و الانهار المتلالئة المیاه تتکسر امواجها الحانیة عند جذوع الاشجار و نسائم ربیعیة منعشة تداعب الاغصان فتصطفق الأوراق بصوت حالم...

و قد بدت کبائس اللؤلؤ الرطب فی ذری الاغصان، و تبدت الثمار فی غلف الاکمام..و ظهرت قصور من الزبرجد متناثرة هنا و هناک کالاحجارالکریمة و فصوص الجواهر المتألقة...فیما کانت ینابیع السلسبیل تتدفق فیمتلا الفضاء بنداها و شذاها، و اطفال کاللؤلؤ یحملون کؤوسا فضیة ملأی بالعسل المصفی...یتألقون نورا فی ربیع دائم لافیه شمس و لافیه زمهریر.

لقد نشأ الصبی الطاهر سبط محمد و نجل علی فی أجواء ترفل فیها اجنحة الملائکة و تعطرت بکلمات یحملها جبریل من

[صفحه ۴۰]

أغوار السماوات و لقد تشرب الصبی شیئا ملأ کل وجوده و هو أن المجد الله وحده و عباده المؤمنین و أن علی المرء أن یربح نفسه حتی لو خسر العالم کله و أن سمو الانسان و مجد الحیاة بالکرامة الانسانیة و ما عدا ذلک فأوهام و أباطیل.و کان انتماء الحسن الی جده أنتماء الغصن الی جذع شجرة شماء..یحمله جده علی عاتقه و یقول: اللهم انی احبه فاحبه [۱۷] .

أو یحمله علی رقبته حتی اذا قال له قائل نعم المرکب رکبت یا غلام قال النبی و نعم الراکب هو و سمعه المسلمون یقول عنه: ان ابنی

هذا سید. [۱۸] .

و یشمه ثم یقول: الحسن ریحانتی من الدنیا.

و حق لصبی مثل الحسن أن تمتلأـ روحه بروح جده العظیم روح تسامت حتی بلغت مرتبهٔ الکمال و استحالت الی شمس تضیء للانسانیهٔ و تغمر العالم بالنور و الدفء و الایمان.

ریاح الزمهریر

فی الثالث و العشرین من صفر سنهٔ ۱۱ ه ۶۳۲ م لزم رسول‌الله صلی الله علیه وآله وسلم فراش المرض و تدهورت صحهٔ النبی صلی الله علیه و آله و سلم قد بدا یحث الخطی للرحیل الی الملکوت الأعلی و حل یوم الاثنین ۲۸ صفر.

[صفحه ۴۱]

و لعل هذه الأیام المریرهٔ أول صدمهٔ یتعرض لها الصبی الذی سیرث عن جد مجده و سؤدده و هیبته [۱۹] و کان یدرک عمق الفاجعهٔ و هی تنعکس علی وجه أمه الزهراء...

و عندما شعر أهل البیت ان ساعهٔ الرحیل قد أزفت القی الحسن و أخوه بنفسیهما علی جدهما و هما یشهقان بعبرهٔ و یقبلان الجد الرحیم...و أراد علی أن تنحیتها فقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم بصوت واهن: دعهما یتمتعان منی و اتمتع منهما فستصیبهما بعدی اثره...

وحانت لحظهٔ الرحیل و سمع الحسن و هو خارج الحجرهٔ صوت والدته تهتف: «و أبتاه الی جبریل أنعاه».

و تدفقت الجماهیر فی أزقهٔ المدینهٔ و شوارعها مذهولهٔ للمصاب الکبیر..لقد بدأ زمن الزمهریر.

و فیما کان أهل البیت مشغولین بتجهیز النبی صلی الله علیه وآله وسلم کانت عیون البعض ممن خطفت عقولهم الاطماع یجتمعون للاستیلاء علی السلطهٔ.

و ادراک الحسن من خلال ما یجری حوله ان الدنیا لم تعد کما مضی و أن الزمن بدأ یتنکر لأهل النبی صلی الله علیه وآله وسلم..فحق له أن یشعر بالبرد و بمرارهٔ الیتم و عمق الفاجعهٔ و لعله بدأ ینظر الی الدنیا نظرهٔ

[صفحه ۴۲]

فیها کثیر من العمق والوعی أن أول صفاتها الغدر و عدم الوفاء...انها لاتفی لأحد أبدا.

فأبوه الذی کان بطل المعارک کلها و سیف الاسلام الذی لایقهر هو الآن جلیس البیت محاصر من رجال کانوا بالامس یبتسمون له أما الآن فقد استحالت ابتساماتهم الکاذبهٔ الی انیاب یکشرون عنها بغیظ و حقد.

و أمه التی هی بضعهٔ النبی و روحه التی بین جنبیه و سیدهٔ النساء هی الآن تذوی کزهرهٔ ربیعیهٔ و تخبو کشمعهٔ فی قلب اللیل الدامس...بکاؤها بکاء الشموع.

لقد رحل الأب الرحیم مخلفا فی قلوب الذین احبوه جراحا لن تندمل..

کان النبی الحضن الدافی و الضلال الوارفهٔ فاذا الدنیا زمهریر و اذا الوجود ظلام فی ظلام.

و سمع الحسن أمه تقول لأنس: أطابت نفوسکم أن تحثوا علی رسول‌الله التراب [۲۰] .

و کانت تشعر بالاختناق فتشم تراب الضریح المعطور و أریجه و شذاه [۲۱] .

[صفحه ۴۳]

و عندما لام البعض زوجها لأنه اشتغل بتجهیز النبی و ترک الصراع علی الخلافة قالت: «ما صنع أبو الحسن الا ما کان ینبغی له و لقد صنعوا ما الله حسیبهم و طالبهم» [۲۲] .

و علی مدی عدة شهور کان الحسن یعیش المأساة کلها فقد استحال بیتهم الی قلعة للمقاومة و کانت أمه تواجه غارات المغیرین و قد هتفت مرة بهم: یا أبابکر ما أسرع ما أغرتم علی أهل بیت رسول‌الله؟! [۲۳] .

و لما اشتد الحصار خرجت و أخذت معها الحسن و الحسین و أنطلقت الی قبر النبی صلی الله علیه وآله وسلم ترید أن تواجه العاصفة بسلاح الانبیاء..و الدعاء سلاح الانبیاء.

و تبکی فاطمة المأساة..مأساة اغتصاب الحق فلقد أضحت الخلافة نهبا للطامعین و المغیرین. [۲۴] .

حتی فدک اغتصبها و هبت والدته لخوض آخر معرکة، و شهد الحسن تلک الطخبة الرائعة التی القتها والدتها فی مسجد جده و ستظل کلماتها خالدة تدوی فی فضاء التاریخ و ضمیر الانسان: محمود هو الله من أجل ما أنعم علی الانسان..وهبه نعمة الحیاة و له الشکر اذ قذف فی أعماقه العلم و المعرفة.

[صفحه ۴۴]

و قد عمت نعمه سبحانه حتی لایمکن لأحد أن یعدها أو یحصیها بل لایمکن أن یدرکها أو یحیط بها علما...

جعل الشکر لها زیادة و برکة و نماء و ازدهارا..

و شهادة له سبحانه أنه واحد أحد مطلق لانهائی..شهادة تضی ء القلب و الفکر و الضمیر...

تعجز الابصار عن رؤیته ویکل الخیال عن تصوره و الکلمات عن وصفه.

خلق الاشیاء و لم تکن و لاحاجة له فیما خلق الا ان تتجلی حکمته فتخشع و تظهر قدرته فنخضع..

تبارک ربنا عالما بالنهایات..محیطا بحوادث الأزمنة القادمة و مخاضات الأیام..

و کانت الارض فیما مضی ظلمات یتراکم بعضها فوق بعض و الأقوام البشریة ضائعة تائهة..تخشع للنار اذ تتطایر شررا و تعکف علی أوثان منحوتة من حجر و صخور..و اذا الله الذی أودع اسمه فی الضمیر و الفطرة و فی عقل الانسان...الخالق الذی لایعبد.

حتی اشرقت شمسم محمد فتمزقت حجب الظلمات و تدفقت النیابیع فی القلوب...ینابیع الایمان و الأمل.

و سعد الناس جمیعا فقد ارضی الطریق الی الله.

و لم یرحل أبی حتی ترک عند أمته میراث السماء...قرآن فیه آیات بینات تضی الطریق...شریعة الله و منهاجه.

[صفحه ۴۵]

فالایمان طهر من رجس الأوثان...و الصلاة تغسل قلب الانسان من التکبر و الزکاة نمو وازدهار و الصیام تجذیر للأخلاص فی القلب و الحج صرح تنهض فوقه معانی الأدیان

و العدالهٔ انسجام للقلوب و آصرهٔ بین النفوس، و طاعهٔ أهل البیت نظام شامل للحیاهٔ و الاعتراف بامامتهم و قیادتهم أمان من التمزق و التشرذم و الضیاع.

و الجهاد سور للاسلام والصبر سلاح فی المقاومهٔ...مقاومهٔ صروف الحیاهٔ و عادیات الزمن.

فیا أیها الناس أعلموا انی فاطمهٔ و أبی محمد کلمتی واحدهٔ ثابتهٔ..من الخطیئهٔ فی منأی و عن الشطط فی مأمن.

و یستمر صوت الزهراء فاطمهٔ مدویا یضع النقاط علی الحروف فتشرق شمس الحق..و ستبقی کلماتها الثائرهٔ فی مسجد أبیها الراحل تستفهم التاریخ و الانسان.

و تعود أم الحسن الی بیتها مقهورهٔ لقد قضی الأمر و لم یبق لها الا الصبر، و تقع عیناها علی قمیص والدها فتغرق فی طوایاه و عوالمه حتی لاتشعر بما یجری حولها ویری أبوالحسن ذلک فیغیب القمیص حتی لاتموت فاطمهٔ. [۲۵] .

[صفحه ۴۶]

و یری الحسن بکاء والدته و أبوه یعزیها قائلا: ما أعد الله لک خیر مما قطع عنک فاحتسبی الله، فتقول أمه و هی تکفکف دمعهٔ ساخنهٔ: حسبی الله.

رحیل الأم

و یسدد القدر سهامه مرهٔ أخری ویری الحسن والدته تذوی فهی تستعد للرحیل..و تذوی زهرهٔ الحیاهٔ فی دنیا فاطمهٔ و تشتد روحها سطوعا..ها هی تتأهب للسفر...و لم یعد أحد یراها تذهب الی البقیع فلقد ضعف الطین عن حمل الروح العظیم..

و جاءت نسوهٔ من الانصار و المهاجرین لعیادتها والسوال عن صحتها فقلن لها: کیف اصبحت من علتک یا ابنهٔ رسول‌الله؟

و لکن فاطمهٔ تتحدث عن العلهٔ الکبری و الجراح النازقهٔ فتدین عصرها الذی خذلها فخذل الحق و قهرها فقهر..

أعلنت فاطمهٔ ادانتها لدنیاهن..اعلنت غضبها من أولئک الذین قهروها و سوف لن یغسلوا العاری الذی الحق لهم بخذلان فاطمهٔ؛ الذلی یعنی خذلان الحقیقهٔ..و سوف تحصد الاجیال ما زرعه الاجداد و هل زرعوا الا الأشواک؟!

و کان رحیل الأم بعد أیام مریرهٔ من المعاناهٔ و القهر قد بلور فی عین الصبی الطاهر نظرهٔ عمیقهٔ الغور الی الحیاهٔ الدنیا أنها لاتساوی شیئا و لاتستحق أن یضحی الانسان بجزء من قیمه

[صفحه ۴۷]

الأخلاقیهٔ والانسانیهٔ.

عندما عاد الحسنان الی البیت کانت السکینهٔ تغمر المکان و کانت سلمی زوجهٔ سید الشهداء حمزهٔ سألها الحسن: أین أمنا؟

و أشارت الی حجرهٔ و هی تبکی..

کانت الأم مستغرقهٔ فی نومهٔ الرحیل الأبدی واضعهٔ یدها تحت خدها و قد غادرت الروح أهاب جسد نحیل و کان الوجه الملائکی تحیطه هالهٔ من النور.

و انطلق الحسن الی والده و کان فی المسجد و دخل مع أخیه و هما ینتحبان...قال بعضهم متسائلا: ما یبکیکما؟

قالا: ماتت أمنا فاطمهٔ.

و لاشک أن هـذه الفجیعـة قـد اضاءت من مشاعر الصبی الـذی رأی فیما بعـد أن محنـة والده تفاقم و انه اضـطر بعد ذلک الی البیعة بالقوة و الاکراه.

و لقـد نتج عن السـقیفة وجهة جدیدة للتاریخ الاسـلامی و لم یکن لدی الامام علی سوی الصـمت و الصبر فضل طیلة ربع قرن جلیس بیته و لاهم له سوی وحدة الدولة السالامیة ارضا و شعبا.

ان کل الدراسات الاجتماعیة فی تلک الفترة تؤکد بان الامام کان مرجعا فکریا و قضائیا و انه ملأ فراغا کبیرا هذا الفراغ الذی نجم عن رحیل النبی صلی الله علیه وآله وسلم الی الرفیق الأعلی.

[صفحه ۴۸]

لا نرید الاسترسال فی هذه الفترة لکننا نشـیر الی أن الحسن قد بلغ مرحلة الشـباب فی زمن الخلیفة الثانی و أن الأخیر و ضـمن سیاسـیه فی توزیع العطاء فرض للحسن و لأخیه عطاء البدریین و هو خمس آلاف درهم. [۲۶] .

و بعـد حادثـة الاغتیـال التی تعرض لهاالخلیفـة الثانی تشـکل بأمر منه مجلس للتشاور فی مصـیر الخلافـة و انتخاب أحـد أعضائه و هو مجلس شـکل بدقـة متناهیة بحیث تفضـی المداولات الی انتخاب خلیفة ینسـجم مع الوضع النفسـی الذی وصـلت الیه الامة الاسـلامیة آنذاک، و ما یثیر التساؤل أن الخلیفة الثانی الزم فیما ألزم فی هذه التشکیلة حضور الحسن اجتماعات مجلس الشوری.

ولـذا فقـد عاش الشاب تجربـة أخری من تجارب السیاسـیة و شـهد عن قرب ظهور الاطماع و التهافت علی حطام الـدنیا و رأی موقف والده الثابت الذی لایری فی الخلافة قیمة الا فی اطار المسؤولیة و اقامة حکم الله و ما عد ذلک فهی لاتساوی عنده حذاء متهرئا. [۲۷] .

و عندما آلت الخلافة علی عثمان بن عفان علق الأمام بأسی:

[صفحه ۴۹]

لیس هذا أول یوم تظاهرتم فیه علینا فصبر جمیل و الله المستعان علی ما تصفون.

و غادر المسجد و هو یقول: سیبلغ الکتاب أجله.

فی الأعوام بین ۲۵ الی ۲۷ ه شارک الامام الحسن الذی اجتاز العشـرین بسنوات فی حرکة الفتوح فی أفریقیا و شمال ایران و قد أورد المؤرخون ذلک لدی ذکرهم المناطق الجدیدة التی فتحت علی أیدی قوات الاسلام.

حکام الکوفة

من الأفضل أن نتحدث فی هذا الجانب علی أساس أن الکوفة سوف یکون لها النصـیب الأوفر من الاهتمام و قد ذکرنا أن الکوفة التی تأسست فی سنة ۱۷ کان حاکمها هو القائد العام للجیوش الاسـلامیة فی الشرق سعد بن أبی‌وقاص، و نظرا لبعض الشکاوی فقد أقصی عن الحکم بذریعة عدم کفائته السیاسیة و اسند المصنب الی عمار بن یاسر الذی لم یلبث فیه الا قلیلا بسب نقائه و استقامته و طهره، و وقع اختیار عمر علی المغیرة بن شعبة لأنه داهیة فی السیاسیة لایتورع عن الغدر و الفجور و قد استمر فی حکومة الکوفة مدة طویلة الی أن جاء عثمان للخلافـة فاسـند حکومـة الکوفـة الی سـعد بن أبی وقاص ثم الی أخیه فی الرضاعـة الولیـد بن عقبـة و قد اشـتهر الأخیر بانحرافاته الاخلاقیة

[صفحه ۵۰]

و فسقه و كذبه [۲۸] .
و قصة شربه الخمر و سكره و أدائه صلاة الصبح سكران مشهورة فقد صلى أربع ركعات و التفت الى المصلين قائلا أتريدون المزيد؟!
و قد انبرى الصحابى الجليل عبد الله بن معسود فضربه بحذائه على وجهه وتطورت الحادثة الى ارسال و فد من سكان الكوفة يحمل خاتم الوليد للشهادة على ما فعله حاكم الكوفة و من المؤسف ان الخليفة قام بانتهار أعضاء الوفد و طردهم مما اضطرهم الى الاجتماع بالامام على و قد هب الأمام لتنفيذ حكم الله و تحمل مسؤوليته بالرغم من استياء الخليفة و ظل مشهد جلد الوالى الفاسق أمام أخيه الخليفة موقفا شجاعا فى ذات الهل لابد و أن الوفد الكوفى سيذكره باعتزاز:
و قد اضطرار عثمان الى اقصاء الوليد عن حكومة الكوفة و اسنادها الى آخر من أقاربه و هو سعيد بن العاص و كان شابا مترفا [۲۹] استخف بصحابة النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد اصطدم مع هاشم بن

[صفحه ۵۱]

عتبة الصحابى الجليل و عيره بعينه العوراء مع انها اصيبت فى معركة اليرموك الحاسمة و حدث الخلاف بسبب رؤية الهلال و قد اضطر الصحابى لها بناء على رؤيته و فطر الناس، فأمر الحاكم الجديد باعتقاله و ضربه كما أمر باضرام النار فى منزله فاحترقت الدار.
وقد كشر الامويون عن انيابهم فى الكوفة و كشفوا عن سياسة تتناقض مع مبادى الاسلام اذ أعلن الحاكم فى مناسبة من المناسبات بأن الكوفة و غيرها بستان القريش فنهض مالك الاشتر و رد عليه بقوة و كان هذه الحادثة بداية للحوادث المريرة التى أدت فيما بعد الى اعلان الثورة و مطالبة الخليفة بعزل الوالى و تنصيب وال آخر.
و قد اشتدت المحن فى الأعوام الأخيرة من خلافة عثمان الذكرى تنكر لرفاقه فى الجهاد و صب العذاب على بعضهم صبا و لم يرحم شيخوختم فكان لابى ذر النصيب الأوفر اذ توفى فى منفاه «الربذة» تلك المنطقة الصحراوية القاحلة فيما تعرض عبدالله بن مسعود الى الضرب المبرح فتوفى متأثرا بجراحه و نال عمار بن ياسر نصيبه من العذاب كما حاول نفى الامام على ثم تراجع بعد أن تلقى تحذيرات من تبعات هذه الخطوة المتهورة!
و على كل حال فقد تفاقمت الاوضاع سوء و كان مروان بن الحكم الذى يعد من أعداء الاسلام القدامى هو الخليفة الفعلى

[صفحه ۵۲]

الذى يقود البلاد الى الهاوية و قد انفجر الوضع فى المدينة بعد أن زاد تسلط الامويين على مقدرات البلاد و اذلالهم العباد، فتدفقت الوفود من مقاطعات الدولد الاسلامية من مصر و الكوفة و البصرة و كانت حركة الوفود قد استجابت لاستغاثة و جهها الصحابة لتدارك حرمة الدين الاسلامى التى باتت تنتهك كل يوم بل ان الصحابة و جهوا رسائل عديدة الى الحاميات الاسلامية فى الحدود من أجل القدوم الى عاصمة الاسلام بعد أن باتت الحصون مهددة من داخلها. [۳۰] .
و استنجد عثمان بمعاوية لقمع الثائرين و لكن معاوية كان يعرف من أين تؤكل الكتف فتكلأ فى الاستجابة منتظرا قميصه الملطخ بالدم ليكون و سيلته للاستيلاء على الخلافة.

لم تكن المعارضة تمثل تيارا واحدا بل جمعت تحت لوائها تيارات عديدة و التقت فيها بواعث كثيرة فهناك الناقمون بسبب حرمانهم الامتيازات كعمرو بن العاص و هناك الطامعون بالخلافة بعد أن نفخت الشورى فى نفوسهم أوهام الأهلية و الجدارة (طلحة و الزبير) و هناك الجماهير المتذمرة التى وجدت نفسها مهدورة الكرامة، و هناك الى جانب كل ذلك الضمير الاسلامى المتمثل فى أجلاء الصحابة بدء بأبى ذر و انتهاء بعمار بن ياسر.

[صفحه ۵۳]

و قد برز الامام على وسط هذه الاجواء المظلمة ليمثل موقفا فريدا اذ حاول تفادى الكارثة فحاز ثقة الجميع حتى عثمان نفسه اما زوجة عثمان فقد كانت تؤمن ايمانا عميقا بأن عليا هو وحده الذى سينقذ زوجها من الهاوية شرط أن يستمع الأخير للنصائحه.

و أحدقت حشود الثائرين و هى تقدر بالألوف بقصر عثمان و أعلنت مطالبها الواضحة:

- العودة الى سياسة النبى فى العطاء و التى تنهض على مبدأ المساواة و الغاء الامتيازات التى سنها الخليفة الثانى و جيرها عثمان لصالح الامويين.

- تطهير المؤسسة الحكومية من العناص الفاسدة و خاصة مروان بن الحكم.

- الحد من اطماع الأمويين و احتكار المناصب الحكومية و حصرها بهم.

- وقف الاجراءات الكيفية التى يمارسها الولاة فى الأقاليم الاسلامية ازاء رعايا الدولة والحد من صلاحيات الحكام فى التصرف بالأموال العامة.

و عندما تفاقمت الأوضاع برفض الخليفة لمطالب الثائرين و ظهرت نذر الانفاجار استنجد الجميع بعلى ليقوم بمهمة السفارة.

و اجتمع الامام بعثمان و دار الحوار التالى:

على: الناس و رائى و قد كلمونى فيك...و والله ما أدرى ما أقول

[صفحه ۵۴]

لك...و ما أعرف شيئا تجهله...و لاأدلك على أمر لاتعرفه..انك لتعلم ما نعلم..و ما سبقناك الى شى ء..فنخبرك عنه...و لاخلونا بشى ء فنبلغه...و ما خصصنا بأمر دونك...

فالله الله فى نفسك فانك و الله ما تبصر من عمى و ما تعلم من جهل، و ان الطريق لواضح بين...

و ذكر الامام الخليفة بخطر مروان..فقال:

لا تكن لمروان سيقة يسوقك حيث يشاء.

و أضاف فى حديثه الى ان الولاة يسيئون سياسة الناس و ينسبون ذلك الى عثمان: ان معاوية يقتطع الامور دونك فيقول للناس هذا أمر عثمان فيبلغك و لاتغير على معاوية.

و لقد حثت «نائلة» زوجها عثمان على الاصغاء الى نصائح على فهو وحده الذى يمكنه أن يقنع الثوار بالعودة: لهذا قال عثمان صادقا:

يا أبا الحسن: ائت هؤلاء القوم فادعهم الى كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وآله.

قال الامام مشترطا:

نعم...ان اعطيتنى عهد الله و ميثاقه على انك تفى لهم بكل ما اضمنه عنك.

اجاب عثمان:

[صفحه ۵۵]

نعم.

و اخذ على عليه‌السلام العهود على الخليفة باصلاح الامور و خرج على يبشر الجماهير المحتشدة و علت الهتافات من كل صوب:

ما وراء ك؟

فأجاب الامام:

بل أمامى...تعطون كتاب الله و تعتبون من كل ما سخطتم.

و فى هذه الكلمات او جز الامام كل مطالبيهم التى ثاروا من اجل تحقيقها...

و تساءل زعماء الثورة:

اتضمن ذلك عنه.

فقال عليه‌السلام:

نعم.

رضينا.

و هكذا تقرر اجتماع بعض زعماء الثائرين بعثمان لتحرير ما أعلن الخليفة الثالث.

و هذه صيغة التعهد كما ورد فى كتب التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من عبدالله عثمان أمير المؤمنين..

لمن نقم عليه من المؤمنين و المسلمين..

ان لكم أناعمل فيكم بكتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وآله.

[صفحه ۵۶]

يعطى المحروم.

و يؤمن الخائف.

و يرد المنفى.

و لاتجمر البعوث «لاتبقى مرابطة فى أرض العدو».

و توفر الفىء.

و على بن أبى طالب ضمين المؤمنين و المسلمين على عثمان بالوفاء فى هذا الكتاب.

الشهود: الزبير بن العوام / طلحة بن عبيدالله / سعد بن ابى‌وقاص / عبدالله بن عمر / زيد بن ثابت / سهل بن حنيف / أبو أيوب الأنصارى / خالد بن زيد، و قد حرر الكتاب فى ذى القعدة سنة ۳۵ ه و نصح الامام على الخليفة عثمان بن عفان بان يواجه الجماهير شخصيا و يعلن على الملأ العام سياسته الجديدة.

و نهض عثمان لیواجه الجماهیر، و فی قلبه عزم علی أن یعود الی جادهٔ الصواب:

سمعت رسول‌الله صلی الله علیه وآله یقول: من زل فلینب...

و أنا أول من اتعظ...فاذا زللت فلیأتی اشرافكم فلیردونی برأیهم..فوالله لو ردنی الی الحق عبد لاتبعته، و ما عن الله مذهب الا الیه...

و اشرقت وجوه الجماهیر بالفرحهٔ و الأمل....

و خرج الامام علی فتحدث الی الوفد المصری الذی فضل

[صفحه ۵۷]

العودهٔ الی دیاره بعد أن حمل نسخهٔ من كتاب الخلیفهٔ.

و هنا تـدخل مروان فاجهض كل تلك المساعی الطیبـهٔ...اذ سـطر كتابا باسم الخلیفهٔ و مهره بخاتم الخلیفهٔ وسـلمه الی غلام الخلیفهٔ! و اركبه جملاـ تعـود ملیكته للخلیفـهٔ المغلـوب علی أمره؛ و قـد بلـغ من خبث مروان انه طـوی الكتـاب و وضـعه فی انبـوب مصـنوع من الرصاص، و وضع الانبوب فی قارورهٔ و وضع القارورهٔ فی قربهٔ ملای بالماء...و قال للغلام:

حث السـیر حـتی تصـل مصـر فتسـلمه الی عبـدالله بن سـعد، و تشـاء الأقـدار أن یكتشـف الوفـد المصـری و هـو فی طریـق العودهٔ الی دیاره..المبعوث المشبوه و بعد تفتیش دقیق عثر أحد اعضاء الوفد علی انبوبهٔ الرصاص و فیها كتاب ینضج بالدم الموت، اما بعد...

فاذا قـدم علیک عمرو بن بدیل فاضـرب عنقه و اقطع یدی ابن عدیس و كنانهٔ و عروهٔ ثم دعهم یتشـحطون فی دمائهم حتی یموتوا.ثم أوثقهم الی جذوع النخل [۳۱] .

و ثارت ثائرهٔ الوفد المصری الذی قرر العودهٔ [۳۲] الی المدینهٔ و الاطاحهٔ بعثمان.توجه الوفد المصری الی علی الذی ضمن

[صفحه ۵۸]

الخلیفهٔ؛ و شعر علی بالغضب و هو یتأمل كتاب عثمان و أوامره بتصفیهٔ زعماء الوفد..

و انطلق الامام الی قصـر عثمان، و قـد فوجی الأخیر بالكتاب و اقسم انه لایعلم منه شـیئا و انه لم یكتبه و لم یأمر بكتابته و لكنه اعترف قائلا:

- اما الخط فخط كاتبی..و الختم خاتمی...

- و كان لابد من اتهام أحد بحبک هذه المؤامرهٔ...فسأل علی:

- فمن تتهم...

لقد انفتحت أمام عثمان فرصهٔ رائعهٔ..للتحقیق فی الأمر و من ثم الثأر لكرامته التی اهدرها مروان بتصرفاته الحمقاء...و لكننا نجد عثمان و مع بالغ الأسف یجیب دون رویهٔ قائلا:

- اتهمک واتهم كاتبی!!

و نهض علی غاضبا..و شعر بأن دوره كوسیط قد انتهی و أن عثمان قد مات...منذ زمن..منذ الأیام التی سلم فیها أموره الی مروان وراح ینقاد وراءه.

تمتم علی بحزن:

- ما یرید عثمان أن ینصحه أحد...اتخذ بطانهٔ غش لیس منهم أحد الا و قد تسیب بطائفهٔ من الأرض یأكل خراجها و یستذل اهلها.

[صفحه ۵۹]

الحصار الثانی

تدهورت الأوضاع بسرعة مثیرة،: و هتف المصریون بعثمان و لوحوا بالکتاب:

- یا عثمان أهذا کتابک؟

و انکر عثمان ذلک و أقسم.

فصاح المصریون:

- هذا شر، یکتب عنک بما لاتعلم، مثلک لایلیق بالخلافة فاخلع نفسک عنها.

اجاب عثمان و قد سد جمیع أبواب السلام:

- ما کنت لانزع قمیصا سر بلنیه الله!

و هذا فرض الحصار مرة أخری و تأزمت الأحداث و قد أو شک الوضع علی الانفجار.

و تقدم شیخ قد هدته السنون من اصحاب [۳۳] النبی صلی الله علیه وآله، و ناشد عثمان باطفاء نار الفتنة باعتزاله الخلافة و الحکم، و فیما هو یحاور عثمان انطلق سهم فاصاب من الشیخ الصحابی مقتلا فهوی شهیدا..و انفجر الوضع و تعالت هتافات الجماهیر بتسلیم القاتل، و رفض عثمان الاستجابة کعادته قائلا:

- لم أکن لاقتل رجلا نصرنی...

[صفحه ۶۰]

و فی فورة غضب اندفعت الجماهیر باتجاه باب القصر فاحرقته...

و وقعت عدة اشتباکات عنیفة...و مما دفع بالأموین الی القتال.و مواجهة الجماهیر بالعنف اخبار عن زحف قوات عسکریا من الشام [۳۴] باتجاه المدینة؛ و مع کل هذا فقد تخلی مروان عن الخلیفة وفر مع بعض الأمویین و ترکوا عثمان یواجه مصیره المحتوم وحیدا..ولقی عثمان مصرعه تحت ضربات المهاجرین و الأنصار، و هکذا اسدل الستار علی حیاة الخلیفة الثالث..الذی ترک ثلاثة أیام بلا دفن و تضاربت الأنباء حول غسله و رفضت الجماهیر فیما بعد دفنه فی مقبرة البقیع فدفن کما اجمعت مصادر التاریخ فی بقعة تدعی «حش کوکب» کان الیهود یدفنون فیها موتاهم، و اذا کان لمعاویة فضل علی عثمان فهو فی هدم الحائط الذی یفصل بین «البقیع» و «حش کوکب» و الحاق الأخیرة بمقبرة المسلمین.

موقف امة

لخص الامام علی الحوادث التی انتهت بمقتل عثمان فی حدیثه مع بعض الثائرین قائلا:

[صفحه ۶۱]

ان عثمان استأثر فاساء الأثرة، و جزعتم فاسأتم الجزع، و لله حکم واقع فی المستأثر و الجازع.

کما و او جز سیرة عثمان فی خلافته بقوله:

الی ان قام ثالث القوم نافجا حضـنیه (من کان سـیره تکبرا) بین نثیله (الروث) و معتلفه (موضع العف) و قام معه بنو امیه یخضمون مال الله خضمة الابل نبتة الربیع الی ان انتکث علیه قتله وأجهزه علیه عمله وکبت به بطنته.

و اعقب مصـرع عثمان ان عمت الفوضـی المدینة المنورة، و اندفعت الجماهیر الی منزل الامام علی تطاله بتحمل مسؤولیاته فی الحکم و الخلافة فی واحدة من اکثر المنعطفات التاریخیة حساسیة و خطورة.

و لکن الامام رفض بشدة [۳۵] و هتفت الجماهیر تستنجد به:

یا أبا الحسن ان هذا الرجل قد قتل و لابد للناس من امام، و لانجد الیوم أحق بهذا الأمر منک..لاأقدم سابقة، و لاأقرب من رسول‌الله.

[صفحه ۶۲]

فقال الامام:

لا تفعلوا، و لاأفعل، فانی لکم وزیر خیر لکم من أمیر.

و تشبثت الجماهیر به کما تتشبث بطوق النجاة:

انت لنا أمیر.

فقال الامام،

لا حاجة لی فی امرکم....ایها الناس أنا معکم فمن اخترتم رضیت به.

و احدقت به الجماهیر من کل صوب و قد زادهم اصرار علی الامتناع اصرار علی التشبث به و هتفت الامام مرة اخری:

دعونی و التمسوا غیری..

و أردف مشیرا الی ان زمن الفتن قد بدأ:

انا مستقبلون أمرأ له وجوه..و له الوان، لاتثبت له العقول، و لاتقوم له القلوب.

و ارتفع صوت مخلص من بین الجمایر یناشد الامام:

ننشدک الله...ألا تری ما نری؟!

الا تری ما حدث فی الاسلام؟

ألا تخاف الفتنة؟

ألا تخاف الله؟!

و هنا سکت الامام...و حبست الجماهیر انفاسها فقال:

انی ان اجبتکم رکبت فیکم ما أعلم، و ان ترکتونی فانما أنا

[صفحه ۶۳]

کأحدکم..بل أنا من اسمعکم، و اطوعکم لمن ولیتموه أمرکم.

فردت الجماهیر بحماس:

ما نحن بمفارقيک حتى نبايعک!

و اخيرا اعلن الامام استجابته و اشاره الى المسجد البقعة التى صنعت تاريخ الاسلام من قبل:

ان كان لابد من ذلک ففى المسجد..فبيعتى لاتكون خفية...و لاتكون الا عن رضى المسلمين و فى ملأ جماعتهم.

و فى اليوم التالى كان المسجد الجامع يموج بالجماهير التى احتشدت لمبايعة» على»...

و لو قدر للمرء أن يرى مشهدا واحدا من ذلک اليوم العظيم - عندما هبت الجماهير تبايع انسانا رأت فى ملامحه وجد المنقذ...رأت فيه الشمس التى اشرقت بعد ليالى الزمهرير الطويلة - لرأى رجالا و نساء و اطفالا صغارا...و قد اشرقت الوجوه تنتظر لحظات المهد الجديد..ولرأى أيضا شيوخا قد هدتهم السنون و الأيام و لكنهم تحاملوا على انفسهم فجاءوا يعاهدون عليا...

و جاء على فى الصباح و قد اشرقت الشمس و غمرت المدينة بالنور و الدف..كان يرتدى قميصا و عمامة من خز..يحمل فى يده نعليه..يتوكا على قوسه. [۳۶] .

[صفحه ۶۴]

و فى يوم الثامن عشر من ذى‌الحجة ارتقى على المنبر ليواجه الجماهير المحتشدة:

أيها الناس: انى كنت لامركم كارها...فأبيتم الا أن اكون عليكم...رضيتم بذلک؟

وعلت هتافات الامة:

نعم..نعم...نعم.

فرفع الامام طرفه الى السماء و قال:

اللهم اشهد عليهم...

و فى فرع عارم بدأت مراسم البيعة...و امتدت أول يد و كانت شلاء [۳۷] لتعاهد عليا على الوفاء..و تدافعت الجماهير تبايع عليا..واشرقت وجوه الفقراء و المقهورين..لقد بدأ عهد جديد..عهد تتنفس فيه العدالة ملء رئتيها..و احتفلت الامه بهذا اليوم السعيد ليكون لها عدا..و بدأت كلمات الفرح و الثناء و المجد تنثال لتملأ أذن الزمان..اذ انبرى ذوالشهادتين خزيمة بن ثابت ليسجل شهادته أمام الناس و التاريخ و الأجيال:

ما اصبنا لأمرنا غيرک..و لاكان المنقلب الا اليک و لئن صدقنا انفسنا فيک لأنت أقدم الناس ايمانا..اعلم الناس بالله..و أول المؤمنين برسول‌الله..لک ما لهم...و ليس لهم ما لک..

[صفحه ۶۵]

و نهض الصحابى صعصعة بن صوحان فقال و هو يرى اجمل منظر فى الاسلام:

والله يا أميرالمؤمنين..لقد زينت الخلافة، و ما زانتک و رفعتها و ما رفعتک، ولهى اليک احوج منک اليها.

و اندفع مالک الاشتر يهتف بحماس الجندى المخلص للاسلام:

ايها الناس، هذا وصى الاوصياء..و وارث علم الأنبياء..العظيم البلاء، الحسن العناء..الذى شهد له كتاب الله بالايمان و رسوله بجنة الرضوان..من كملت فيه الفضائل..و لم يشک فى سابقته و علمه و فضله الأواخر و الأوائل... [۳۸] .

ولم يتخلف عن البيعة الشعبية سوى مجموعة تعد بالاصابع فى طليعتها: سعد بن ابى‌وقاص، اسامة بن زيد، ابى‌سعيد الخدرى، و عبدالله

بن عمر بن الخطاب، و حسان بن ثابت الشاعر: و لم یتعرض الامام الی أی منهم، و ترک لهم الخیار بحریة...فقد أحضر سعد الی المسجد لیبایع و لکنه رفض ذلک قائلا:

لا...حتی یبایع الناس..والله ما علیک منی بأس.

فقال الامام:

[صفحه ۶۶]

خلوا سبیله...

و قال عبداله بن عمربن الخطاب [۳۹] مثل قول سعد:

فقال الامام:

ائتنی بکفیل.

قال:

لاأری کفیلا.

فقال الامام:

دعوه..أنا کفیله.

و فی کل الأحوال فان مبایعة علی کانت تعنی الاعراض عن مباهج الدنیا و الترف و حیاة القصور، و لم یکن هذا یسیرا علی الذین انغمسوا فیها و غرقوا فی أوحالها حتی الحضیض.

العهد الجدید

و بصعود علی علیه‌السلام المنبر بدأ فصل جدید من التاریخ..لقد بدأ.

[صفحه ۶۷]

فصل الربیع و زمن العدالة و المساواة والأخوة...الجماهیر و التاریخ و الضمیر الانسانی تصغی الی کلمات تتدفق من روح عظیمة...روح انصهرت فی بوتقة النبوات..ها هو علی ربیب محمد صلی الله علیه وآله یعلن انبعاث الرسالة و من جدید..و عودة شمس الاسلام ها هو یخاطب التاریخ و الحضارة و الانسانیة:

ألا لایقولن رجال منکم قد غمرتم الدنیا فاتخذوا العقار..و فجروا الأنهار...و رکبوا الخیل الفارهة..و اتخذوا الوصائف الروقة...فصار ذلک علیهم عارا وشنارا..اذا ما منعتهم ما کانوا یخوضون فیه و أصرتهم الی حقوقهم التی یعلمون..فینقمون ذلک و یستنکرون...و یقولون حرمنا ابن ابی‌طالب حقوقنا...

واردف معلنا القاعدة التی تنهض علیها حقوق المواطن المسلم:

و ایما رجل استجاب لله و رسوله...فصدق ملتنا و دخل فی دیننا، و استقبل قبلتنا..فقد استوجب حقوق الاسلام و حدوده فانتم عباد الله...

و المال مال الله..

یقسم بینکم بالسویة..

لا فضل لاحد علی احد؛ و للمتقین غدا حسن الجزاء و فضل الثواب...

و اضاف قائلا:

[صفحه ۶۸]

و ذا کان غدا – ان شاء الله – فاغدوا علینا..فان عندنا مالا نقسمه فیکم، و لایتخلفن احد منکم، عربی و لاأعجمی....کان من أهل العطاء أولم یکن..اذا کان مسلما حرا الا حضر...

اقول قولی هذا و استغفر الله العظیم لی و لکم.

هل هی مصادفة أن یتولی علی بن أبی‌طالب علیه‌السلام الخلافة فی الثامن عشر من ذی‌الحجة الحرام...و هل تذکر بعض صحابة النبی صلی الله علیه وآله یوم غدیرخم [۴۰] .

عندما هبط جبرئیل یعلن ولایة علی علی کل مسلم و مسلمة و کل مؤمن و مؤمنة.

ان الفترة التی اعقبت رحیل النبی صلی الله علیه وآله و اقصاء الامام علی عن حقه هی من أکثر الفترات مأساویة، و التأمل فی مواقف الامام و تصریحاته [۴۱] ابان تلک الفترة تکشف عن عمق المحنة التی

[صفحه ۶۹]

عاشها وصی النبی ازاء قریش التی حاربت النبی صلی الله علیه وآله ما یقارب ربع قرن من الزمن و هی مدة الدعوة و الدولة، و اقصت وصیه عن حقه فی القیادة مدة ربع قرن أیضا.

حوادث یوم السبت ۱۹ ذی الحجة ۳۵ ه

بویع الامام علی علیه‌السلام بالخلافة یوم الجمعة..و تجلت سیاسته فی الیوم التالی.فاذا علی هو صوت العدالة و الانسانیة، و هو الاسلام الذی لایعرف افضلیة لعربی علی اعجمی و لاأبیض علی اسود الا بالتقوی.

اصدر الخلیفة الجدید أمره الی الصحابی عمار بتوزیع «العطاء» علی الناس:

قم یا عمار الی بیت المال، فاعط الناس ثلاثة دنانیر لکل انسان [۴۲] و ادفع لی ثلاثة دنانیر.

و انطلق عمار و أبوالهیثم و جماعة من المسلمین الی بیت المال...مضی علی الی مسجد قباء أول مسجد فی تاریخ الاسلام.مضی لیصلی..

و هناک فی البیت الذی یضم خزائن الدولة حدث ما لایستوعبه العقل البشری...لقد وجد عمار أن بیت المال یحوی

[صفحه ۷۰]

ثلاثمئة ألف دینار کان أهل العطاء مئة ألف انسان؛ و لم یبق دینار واحد!!

و التفت عمار الی حوله و فی عینیه بریق و خشوع قائلا:

جاء والله الحق من ربکم..والله ما علم بالمال و لابالناس و ان هذه لآیة..و جبت علیکم بها طاعة الرجل.

من هنا مر الشیطان

و اذا کانت سیاسة العطاء قد کشفت عن الوجه الانسانی، و الاسلامی لعلی بن أبی‌طالب علیه‌السلام، فأنها قد فجرت فی الوقت نفسه الأحقاد والاطماع..و فوجی بها بعض المقربین الیه..جاء سهل بن حنیف و هو من اصحابه فقال مذهولا:

یا أمیر المؤمنین:...هذا غلامی بالأمس..و قد اعتقته الیوم.فقال الامام:

نعطیمه کما نعطیک!

و اثارت هذه السیاسة حفیظة عدد من الزعامات فی طلیعتهم، طلحة بن عبدالله...الزبیر بن العوام..عبدالله بن عمر..مروان بن الحکم [۴۳] ،...سعید بن العاص...و بدأت أول التکتلات

[صفحه ۷۱]

المناهضة لعلی و سیاسته: وقد امتنع هؤلاء عن حضور توزیع العطاء...و بذلک سجلوا أول استیاء ضد العدالة.تبلورت المعارضة لتجتمع تحت لواء المصالح و الاطماع و الاحقاد الدفینة [۴۴] ،..و فی المسجد جاء الولید بن عقبة و هو یمثل التکتل الأموی لمساومة علی فقال:

یا أبا الحسن: انک قد وترتنا جمیعا، أما أنا فقد قتلت ابی یوم بدر، و خذلت أخی یوم الدار بالأمس.

و أما سعید (بن العاص) فقتلت أباه یوم بدر، و کان ثور قریش.

و أما مروان فسخفت أباه عند عثمان اذ ضمه الیه...

و نحن اخوانک و نظراؤک..و نحن نبایعک الیوم علی أن تضع عنا ما اصبناه منالمال فی عهد عثمان..و أن تقتل قتلة عثمان، و انا ان خفناک ترکناک و التحقنا بالشام.

قال الامام واضعا النقاط علی الحروف:

اما ما ذکرتم من و تری ایاکم فالحق وترکم.

و اما وضعی عنکم ما اصبتم فلیس لی ان اضع حق الله عنکم و لا عن غیرکم.

و اما قتلة عثمان فلو لزمنی قتلهم الیوم لقتلتهم أمس، و لکن

[صفحه ۷۲]

لکم علی ان خفتمونی أن أؤمنکم، و أن خفتکم أن اسیرکم.

و عندما انتهت مراسم توزیع العطاء، انطلق علی علیه‌السلام الی العمل فی بئر الملک. [۴۵] .

و قد رفض کل من طلحة و الزبیر، و عبدالله بن عمر استلام حقوقهم من العطاء، و جاءوا یطلبون الاجتماع بعلی.

قال طلحة حانقا:

هذا منکم أو من صاحبکم؟ [۴۶] .

اجاب عمار:

هذا أمره لانعمل الا بامره.

- استأذوا لنا عليه.

ما عليه آذن هو فى بئر الملكك يعمل.

و من المدهش أننا نرى هؤلاء الثلاثة يستمرون فى غيهم فيمتطون خيولهم متوجهين الى «بئر الملكك».

[صفحه ۷۳]

كان الجو حارا و كان على يعمل فى الأرض مع أجير له و قد تصببا عرقا؟ قال طلحة متضايقا:

ان الشمس حارة فارتفع معنا الى الظل..

و استجاب الامام الى رغبتهم فجلس اليهم تحت ظلال شجرة ابتدا طلحة الحديث فقال:

لنا قرابة من نبى الله و سابقة جهاد...و انكك اعطيتنا بالسوية..و لم يكن عمرو و لا عثمان يفعلان ذلكك..كانوا يفضلوننا على غيرنا.

اجاب الامام مذكرا اياه بطريقة ابى‌بكر:

فهذا قسم ابى‌بكر..و هذا كتاب الله فانظروا ما لكم من حق فخذوه.

اجاب الزبير:

فسابقتنا؟!

قال أمير المؤمنين موجها خطابه لطلحة و الزبير.

- انتما اسبق منى؟

- لا..فقرابتنا منه.

- أقرب من قرابتى؟

- لا..فجهادنا.

- اعظم من جهادى؟

- لا.

- و الله ما أنا فى هذا المال و اجيرى الا منزلة سواء.

[صفحه ۷۴]

و مع كل هذه الحجج المقنعة الا أن طلحة و الزبير كما يبدو قد ركبا رأسيهما و رفضا الا نصياع للأر الواقع لقد بنيا مجديهما على تلكك الامتيازات الوهمية وراحا ينظران الى كل شيء من خلال تلكك الأوهام.

و شهد اليوم التالى انفجارا فى المسجد عندما حاول عمار الدخول معها فى حوار [۴۷] و رفض طلحة باسلوب عنيف الحديث صارخا:

اعرف أن فى كل واحد منكم خطبة...

و اساء عبدالله بن الزبير الأدب فى خطابه لشيخ الصحابة عمار فاخرج من المسجد..و هنا غادر الزبير المسجد منزعجا و تأزمت الأوضاع، و قد ذر الشيطان قرنية..و احيط الامام علما بحركة الانشقاق...و التى تتخذ من القدم فى اعتناق الاسلام ذريعة للحصول على امتيازات دنيوية زائلة...

و شعر الامام بالغضب..و غادر منزله الی المسجد فالقی خطابا مریرا انتقد فیه هذه الظاهرة المؤسفة قائلا:

یا معشر المهاجرین و الأنصار! اتمنون علی الله و رسوله باسلامکم؟ بل الله یمن علیکم أن هداکم للایمان ان کنتم صادقین.

[صفحه ۷۵]

و ارتفعت نبرة الامام و هو یهتف بغضب:

انا أبوالحسن..ألا أن هـذه الدنیا التی تتمونها و ترغبون فیها..اصبحت تغضبکم و ترضیکم لیست بدارکم و لامنزلکم الذی خلقتم له، فلا تغرنکم..و اما هذا الفیء فلیس لاحد اثرة..فقد فرغ الله من قسمته..هو مال الله و انتم عباد الله المسلمون..و هذا کتاب الله، به أقررنا و له اسلمنا و عهد نبینا بین اظهرنا..

و نزل الامام و صلی رکعتین..و بعث عمارا لاستدعاء الزبیر و طلحة لاجراء حوار معهما؟

قال علی:

- نشدتکما الله هل جئتمانی طائعین للبیعة و دعوتمانی الیها و انی کاره؟

- نعم.

-غیر مجبورین؟

- نعم.

- فما دعاکما الی ما أری؟

- أعطیناک بیعتنا علی أن لاتقضی فی الأمور دوننا..و لنا من الفضل علی غیرنا ما قد علمت.

و شعر الامام بالغضب..لقد تمکن الشیطان من نفخ روحه فیهما و قدیما رفض ابلیس السجود لادم قائلا: انا خیر منه خلقتنی من نار و خلقته من طین!

[صفحه ۷۶]

قال علی و هو یحاول قهر الشیطان فیهما:

- لقد نقمتما یسیرا و ارجأتما کثیرا..فاستغفر الله یغفر لکما..

الا تخبرانی..ادفعتکما عن حق واجب لکما فظلمتکما اياه؟

- معاذ الله.

- فهل استأثرت من هذا المال بشی؟

- معاذ الله.

- أوقع حکم أو حد من المسلمین فجهلته أو ضعفت فیه؟

- معاذ الله.

و انطلقت صرخة مظلوم ظلت مکبوتة ربع قرن:

- فما الذی کرهتما من أمری حتی رأیتما خلافی؟

- خلافک عمر فی القسمة..انک جعلت حقنا فی القسم کحق غیرنا و سویت بیننا و بین غیرنا.

و ذكرهم الامام بان السابقة و الجهاد فى الاسلام لايمكن أن تكون قاعدة تنهض عليها الامتيازات الدنيوية انها اذا خلصت لله فستكون المجد و المستقبل الحقيقى للمسلم فى الآخرة:

– أما قولكما جعلت فيئنا و أسيافنا و رماحنا سواء بيننا و بين غيرنا، فقدميا سبق الاسلام قوم، و نصروه بسيوفهم و رماحهم، فلا فضلهم رسول‌الله بالقسم و لاآثر بالسبق، و الله موف السابق

[صفحه ۷۷]

المجاهد يوم القيامة..

و وصل الحوار الى طريق مسدود، لقد وضعت الاصابع فى الاذان و لم يعد للمواعظ معنى فى زمن يبرق المعدن الأصفر فيخلب العقول و الأبصار.

الطريق الى البصرة

تسارعت الأحداث..و شهد ليل المدينة رجالا ملثمين يجتمعون فى الظلام يتآمرون للاطاحة بالعهد الجديد..لوأد الشمس التى اشرقت بعد ليالى الشتاء الطويل.لقد تحول عثمان بين ليلة و ضحاها الى مظلوم بعد أن كان ظالما، ها هو طلحة الذى انفق اموالا طائلة و قدم مساعدات كبيرة من اجل الاطاحة بعثمان يتهيأ للفرار الى مكة من اجل المطالبة بدم عثمان، لقد اصبح عثمان مظلوما..

لأنهم فقدوا بغيابه الدنيا الجميلة..دنيا القصور و الامتيازات و الليالى الجميلة!

و وصلت الحوادث منعطفا خطيرا عندما دخلت عائشة زوج النبى أم‌المؤمنين قلب الأحداث لترفع فيما بعد راية التمرد على الشرعية؛ حتى عائشة التى كانت بالأمس تهاجم عثمان بقسوة باتت تهتف بظلامة اليوم...

و هنا يتوقف التاريخ مذهولا..فاذا بالذين قتلوا عثمان فى

[صفحه ۷۸]

الخامس عشر من ذى‌الحجة الحرام يرفعون لواء المطالبة بدمه من على. [۴۸] .

و هكذا وجد مروان بن الحكم ان الظروف تسير فى صالحه ففر الى مكة و معه بنوأمية فاجتمعت الاحقاد و الاطماع و المصالح تحت راية عائشة لاحبا بعثمان و لكن كرها لعلى...و انفق الامويون أموالا طائلة لتجهيز جيش المتمردين الذى تحرك صوب البصرة بقيادة عائشة [۴۹] زوج النبى صلى الله عليه وآله.

واصيب البصريون بالدهشة و هم يرون عائشة و طلحة و الزبير قد جاءوا الى البصرة للطلب بدم عثمان الذى قتل فى المدينة!

و فى البصرة حدثت اشتباكات عنيفة مع انصار الامام وقع فيها عشرات القتلى و الجرحى.

[صفحه ۷۹]

و تحرك الامام بقواته باتجاه العراق، و عسكر فى منطقة «ذى‌قار» ينتظر وصول الامدادات من الكوفة، غير أن الوالى [۵۰] و كان عثمانى الهوى قد وقف الى جانب عائشة، و راح يحث الناس على نكث البيعة و عدم مساندة الامام؛ و قد وصل الحسن بن على و

عمار لحث الكوفيين على الالتحاق بجيش الامام، و ظل الموقف على ما هو عليه و لم تجد خطابات نجل الامام و لاصاحبه فى تغيير الموقف، و هنا وصل مالك الأشتر على جناح السرعة

، فاقتحم قصر الامارة بالقوة، و طرد الوالى غادر القصر مذموما مدحورا.

العجل الجديد

و فى يوم الخميس العاشرمن جمادى الاولى سنة ۳۶ ه شهدت منطقة «الخريبة» [۵۱] من ارض البصرة حشودا عسكرية هائلة و كان جيش الامام على يضم ثمانين «بدريا» و مئتين و خمسين صحابيا شاكروا فى بيعة الرضوان [۵۲] وتقدمت عائشة على جمل و عن يمينها و شمالها الزبير و ابنه عبدالله و طلحة و مروان بن الحكم و سعيد بن العاص! و قد حاول الامام على عليه‌السلام

[صفحه ۸۰]

التوصل الى حل سلمى و ذكر الزبير بن العوام بحديث لرسول‌الله. [۵۳] و كاد الزبير ان يتراجع فى اللحظات الأخيرة قبل اشتعال المعركة لولا تدخل ابنه عبدالله الذى اتهم أباه بالجبن...

و عرض الامام مرة اخرى التحاكم الى كتاب الله و حق الدماء، و لكن المتحمسين للحرب فى جيش عائشة أمطروا الشاب الذى حمل القرآن فى منطقة القتال بوابل من السهام فسقط شهيدا كما سقط بعض الجرحى فى جيش الامام.

هنالك دعا على ابنه محمدا و سلمه راية الجيش العظمى و كانت راية رسول‌الله، و قال:

يا بنى هذه راية ما ردت قط و لاترد..يا أباالقاسم!

قد حملت الراية و انا اصغر منك..

و كثف جيش الناكثين هجومه بالسهام..فاصدر الامام أمره بالهجوم العام..و اشتبك الفريقان فى معارك ضارية، و تحول الجمل فى نوبة من نوبات الجنون الوثنى الى عجل جديد..اذا دارت حوله اعنف الاشتباكات و قد كان الهودج مصفحا بالحديد وهتف الامام و هو يرى عنف المعارك حوله:

[صفحه ۸۱]

اعقروا الجمل و الا فنيت العرب.

و بسقوط الجمل [۵۴] خفت حدة المعارك و بدأت جبهات الناكثين تتزلزل بشدة تحت وقع ضربات المحاربين.

و أمر على ربيبه محمد بن أبى‌بكر أن يبادر الى الهودج و يحمى أخته! و حسم جيش على المعركة فى ساعات معدودة [۵۵] .

و فوجئت عائشة بيد تمتد داخل الهودج فصاحت:

- من أنت؟!

- أبغض اهلک اليک.

- ابن الخثعمية؟!

- نعم و لم تكن دون امهاتک.

- لعمرى بل هى شريفة..دع عنک هذا..الحمد الله الذى سلمک.

- قد کان ذلک ما تکرهین.

- یا أخی لو کرهته ما قلت الذی قلته.

[صفحه ۸۲]

- کنت تحبین الظفر وانی قتلت؟

- کنت أحب ذلک فاکفف.

و جاء الامام فقرع الهودح بالرمح و قال بلهجة فیها غضب و حزن:

- یا حمیراء! بهذا اوصاک رسول‌الله؟!

اجابت عائشة:

- یا ابن ابی‌طالب: ملکت فاصفح.

فقال الامام و هو یطلق آهة حری:

- و الله ما ادری متی اشفی غیظی؟

احین أقدر علی الانتقام فیقال لی لو غفرت؟!

أم حین اعجز فیقال لی لو صبرت؟

غیر أن الامام لایجد سوی الصبر سلاحا..و الصبر سلاح الأنبیاء:

- بلی اصبر فان لکل شی زکاة و زکاة القدرة العفو! و التفت الامام الی محمد بن أبی‌بکر [۵۶] و قال:

[صفحه ۸۳]

شأنک باختک لایدنو منها احد سواک.

لقد اسفرت معارک الجمل الضاربة عن سقوط ما یقارب من خمسة و عشرین ألف مقاتل ستة الاف من جیش علی علیه‌السلام. وقد لقی طلحة مصرعه خلال احتدام المعارک [۵۷] و تضاربت الانباء حول انسحاب الزبیر من أرض المعرکة هل کان قبل احتدام المعارک أو بعدها، و فی کل الأحوال فقد اغتیل فی «وادی السباع» [۵۸] و کانت دوافع القال الاطماع فقد حمل رأسه و سیفه و جاء یبشر علیا علیه‌السلام..و تناول الامام سیف الزبیر و تمتم أسفا:

- سیف اعرفه..طالما لاالکرب عن وجه رسول‌الله.

و اردف الامام مخاطبا «ابن جرموز»!

- و الله ما کان ابن‌صفیة جبانا و لالئیما، و لکنه الحین و مصارع السوء.

قال ابن جرموز و هو یتطلع الی المکافأة!

- الجائزة یا أمیر المؤمنین؟

و انبعثت فی اعماق الامام نبوءة قدیمة:

[صفحه ۸۴]

- اما انى سمعت رسول‌الله صلى الله عليه وآله يقول: بشر قاتل ابن‌صفية بالنار.

و اصدر الامام على عليه‌السلام عفوا عاما [۵۹] اثر توقف العمليات الحربية، و منع أخذ غنائم الجيش المهزوم سوى ما استخدم للحرب من اسلحة و وسائط نقل.

وطالب بعضهم الامام بالسبى فرفض ذلک فقالوا مستنكرين:

- كيف تحل لنا دماءهم و تحرم علينا سبيلهم!

فاجاب الامام:

- كيف تحل لكم ذرية ضعيفة فى دار هجرة الاسلام؟!

و عندما رأى اصرارهم قال:

- فاقرعوا على عائشة اذن.

فهتفوا عندها مستغفرين:

- نستغفر الله يا أمير المؤمنين!

لقد كشفت معركة الجمل و الحوادث التى تلتها عن مستويات متدنية من الوعى الدينى..و عمقت التيارات المتناقضة التى استشرت فى فكر الأمة و ضميرها، و مهدت الطريق امام كارثة صفين.

[صفحه ۸۵]

حوار مع الاصفر

و دخل الامام بيت المال، و رأى دنان الذهب و الفضة قال:

يا صفراء غرى غيرى، و القى نظرة فاحصة و قال فرقوه خمسمئة خمسمئة، و اخذ الامام نصيبه اسوة بجنوده فجاء رجل و قال: كنت شاهدا بقلبى و ان غاب عنک جسمى.

فاعطاه على نصيبه و انصرف صفر اليدين حامدا الله اذ لم يحصل على شىء من الفىء..و لما عوتب على التسوية فى العطاء قال: أتأمرونى أن اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه؟! و الله لااطور به ما سمر سمير، و ما ام نجم فى السماء نجما؛ لو كان المال لى لسويت بينهم فيكف و انما المال مال الله [۶۰] .

و القى الامام نظرة حزن على جثث القتلى، و مر بطلحة [۶۱] .

[صفحه ۸۶]

و هو جثة هامدة و قد مر الظلام الاشياء فقال بأسى:

لقد اصبح «أبومحمد» بهذا المكان غريبا! أما والله لقد كنت اكره ان تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب

مشهد فى البصرة

و خلال مکوثه فی البصرة توجه الامام الی منزل احد اصحابه و هو العلاء بن زیاد الحارثی لیعوده فی علة المت به..و تأمل الامام سعة الدار فقال لصاحبه و هو یحاوره:

- ما کنت تصنع بسعة هذه الدار فی الدنیا، وانت الیها فی الآخرة کنت أحوج؟ و یجیب الامام لیفتح الطریق أمام الأغنیاء الصالحین فیقول:

- بلی ان شئت بلغت بها الآخرة تقری بها الضیف و تصل فیها الرحم و تطلع منها الحقوق مطالعها..فاذا انت قد بلغت بها الآخرة...

قال العلاء بصوت واهن و قد وجد له فرصة لیشکو الیه أخاه:

- یا أمیر المؤمنین اشکو الیک أخی عاصم.

قال الامام:

- ما له؟

- لبس العباءة و تخلی عن الدنیا.

[صفحه ۸۷]

و انبری لامام لیواجه ظاهرة التصوف:

- علی به!

لقد حدد علی موقفه من الغنی فیا تری ماذا سیکون موقفه مع الذین یترکون الدنیا و یدیرون وجوههم لها؟

جاء عاصم أخو العلاء...کان یرتدی عباءة صوف رثة.

قال الامام بلهجة فیها عتب خفیف:

- یا عدی [۶۲] نفسه! لقد استهام بک الخبیث.

اما رحمت أهلک و ولدک!

أتری الله احل لک الطیبات و هو یکره أن تأخذها؟

أنت أهون علی الله من ذلک.

نظر عاصم الی ثیاب أمیرالمؤمنین ربما کانت أکثر رثاثة من ثیابه فقال:

- یا أمیر المؤمنین هذا أنت فی خشونة ملبسک و جشوبة مأکلک.

قال الامام و هو یفلسف له الحاکم القدوة:

- ویحک أنی لست کأنت...ان الله تعالی فرض علی ائمة العدل أن یقدروا أنفسهم بضعفة الناس کلا یتبیغ [۶۳] الفقیر بفقره.

[صفحه ۸۸]

العاصمة الجدیدة

کان الامام یدرک ان الخطر القادم یکمن فی الشام حیث یمارس معاویة بن أبی‌سفیان سیاسته المشبوهة فی غسل الادمغة، و تزویر الحقائق، و توجیه الرأی العام الجهة التی تخدم مصالحه و تحقق طموحاته الشخصیة.و من هنا اختار الامام الکوفة عاصمة جدیدة

للدولة الاسلامیة لموقعها الاستراتیجی و وفرة مواردها الاقتصادیة.

غادر أمیرالمؤمنین علیه‌السلام مدینة البصرة بعد أن عین علیها والیا جدیدا هو عبدالله بن عباس، و فی البصرة قال کلمته الخالدة:

ارضکم قریبة من الماء بعیدة عن السماء و التی اثارت التساؤلات لدی سامعیها عقودا طویلة من الزمن.

واتجه الامام الی الکوفة فهمس و قد لاحت من بعید باسقات النخیل:

ویحک یا کوفان؛ ما اطیب هواءک و اغذی ترتبک الخارج منک بذنب، و الداخل الیک برحمة؛ لاتذهب الأیام و اللیالی حتی یجیء الیک کل مؤمن، و یبغض المقام بک کل فاجر، و تعمرین حتی ان الرجل من أهلک لیبکر الی الجمعة فلا یلحقها من بعد المسافة.

و قد وصل الامام الکوفة یوم الاثنین الثانی و العشرین من رجب سنة ۳۶ ه [۶۴] .

[صفحه ۸۹]

و عرض علی الامام أن ینزل فی قصر الامارة فرفض قائلا:

هذا قصر الخبال لاحاجة لی فی نزوله.

واتجه الی المسجد الأعظم فصلی فیه رکعتین..و فی یوم الجمعة القی الامام خطابا و عظیا حذر فیه المؤمنین من الدنیا جاء فیه:

أوصیکم عباد الله بتقوی الله...

احذروا من الله ما حذرکم من نفسه..و اشفقوا من عذاب الله، فانه لم یخلقکم عبثا، و لم یترک شیئا من امرکم سدی..قد سمی آثارکم و علم اسرارکم، و احصی اعمالکم، کتب آجالکم..فلا تغرنکم الدنیا فانها غرارة لاهلها، و المغرور من اغتر بها، و الی فناء ما هی، و ان الدار الآخرة هی دار القرار. [۶۵] .

بواعث انتخاب الکوفة عاصمة للاسلام

قبل أن ندخل فی تفاصیل هذا الموضع نشیرالی أن معرکة الجمل فی بعض جوانبها اعتبرت صراعا بین البصرة و الکوفة.

فبعد مصرع الخلیفة الثالث فر عبدالله بن عامر الحاکم البصرة الی مکة بعد أن سرق خزانة الدولة و هناک التقی الزبیر

[صفحه ۹۰]

و طلحة و عائشة و مروان و حدث جدل حول المکان الذی یتجه الیه الناکثون للبیعة، یعلنون فیه التمرد و کان هناک تفکیر فی الشام و لکن استبعد أولا لان فی الشام معاویة و هو یحکم سیطرته علی البلاد، فهی منطقة مضمونة التأیید لأی خطوة ضد الامام علی کما کانت هناک هواجس فی أن یتحکم بهم معاویة و یتخذ منهم وسائل للضغط و تحقیق مکاسب شخصیة.و فی غمرة الجدل طرح والی البصرة الهارب فکرة التوجه الیها و تعبئة أهلها ضد الامام و أصبح عثمان بین لیلة و ضحاها خلیفة مظلوما و شهیدا و حمل الناکثون الامام مسؤولیة قتله!!

لقد انتخب الناکثون قاعدة عسکریة هی البصرة ولذا وجه الامام نفسه مضطرا للاستعانة بالکوفة التی کانت یومها من مراکز الصحابة و قاعدة لها وزنها العسکری و القتالی.

و اثر انتهاء معرکة فوجی الکثیرون بعد أن رأوا الامام یولی وجهه شطر الکوفة و لاتخاذها مرکزا للخلافة.

فما هی بواعث هذا القرار؟

لا نستطيع أن نحدد سببا وحيدا يقف وراء انتخاب هذه المدينة التى لم يمض على نشوئها عقدان من السنين لكننا نستطيع أن نحدد مجمل مقومات الكوفة لتى تجعل منها موقعا استراتيجيا حساسا.

فمن الناحية الجغرافية و الجغرافية البشرية تقع الكوفة فى

[صفحه ۹۱]

قلب العالم الاسلامى.

كما أنها تشرق على أربع مناطق استراتيجية هى ايران، الحجاز، الشام و مصر اضافة الى قربها من المناطق ذات التركيز السكانى و يشكل مجموع ذلك عمقا استراتيجيا لمواجهة التحديات و الاعتداءات الاجنبية.

و من الناحية الاجتماعية تمتاز الكوفة بالكثافة السكانية و وجود عدد لابأس به من صحابة النبى صلى الله عليه وآله وسلم و كثير منهم بدريون اضافة الى زعماء القبائل، و فى حساب الولاءات يمكن القول ان وجود تيار قوى داخل الكوفة يؤيد الامام على بحماس و مجموع هذه النقاط اجتماعيا يوفر حالة أمنية لمركز القيادة.

أما الجانب العسكرى فلا يوجد من يناقش فى وجود نسبة كبيرة من أبطال الاسلام، فالكوفة ما تزال قاعدة عسكرية كبرى مستعدة لاستئناف التقدم فى الشرق و الهجوم على الامبراطورية الساسانية، و هذا ما يمنح الكوفة قدرة تعبوية و لاننسى أن الامام كان ينظر الى الشام كخطر قادم و الكوفة فى موقعها الفريد يمكنها تأديب الخارجين على الشرعية و لاشك أن حاكم الشام يخشى القدرات العسكريات التى أنزلت الهزائم الساحقة فى جيوش الامبراطورية الساسانية.

كما أن العراق بشكل عام من الاقاليم الغنية اقتصاديا، من حيث وفرة المياه و وجود نهرين عظيمين يرويان مناطق زراعية

[صفحه ۹۲]

واسعة، كما أن اختيار الكوفة عاصمة وقربها من اقليم ايران الثرى الذى ما يزال يقدم دعما نقديا يتمثل بضريبتى الجزية و الخراج كل ذلك يمكن الخلافة من تغطية الجهد العسكرى و نفقات الحرب.

و يمكننا أن نضيف و بشكل عام الوعى السياسى الذى أهل الكوفة الى أن تكون مركزا ثوريا متقدما بعكس البصرة آنذاك التى ظلت سطحية فى التفكير تماما و واضح أن الامام كان يحمل هما اصلاحيا كبيرا و برنامجا واسعا لن يجد له التأييد المطلوب فى الحجاز.

و من الطبيعى أنه لا-يمكن الجزم بأن الامام سوف ينتخب الكوفة مركزا للخلافة لو شطبنا على الخطر الذى يمثله معاوية و هو يلوح بقميص عثمان الملطخ بالدم.

و من الطبيعى أن يبدو قدوم الامالى الى الكوفة انما كان لمواجهة التهديد الجديد فى الشام و تعبئة الكوفة لمواجهة التمرد الخطير و لعله سيعود الى المدينة فى حالة انتهاء أو القضاء على العصيان.

ان الظروف الدقيقة و المثيرة قد اضطرته على كل حال الى انتخاب عاصمة جديدة للخلافة اذ وجد نفسه فى غضون اسابيع وجها لوجه أما خطرين كبيرين: خطرالتمرد فى العراق و بالتحديد فى البصرة و خطر التمرد فى الشام، و كان على الامام انا يختار

[صفحه ۹۳]

موقعا مؤهلا لضبط اقلیمین کبیرین هما الشام و العراق.

و لم یکن الحجاز لیستطیع مواجهة أی من الاقلیمین فالمدینة التی تعد أفضل نقاط الحجاز کانت عاجزة عن اشباع سکانها فکیف یمکنها اشباع جیش جرار!! أنها و من الناحیة التعبویة لاتستطیع النهوض بما یمکنها من مواجهة التحدیات فاکبر رقم سجله التاریخ للقوات التی تحرکت مع الامام لمواجهة الناکثین فی البصرة کا اربعة آلاف فقط و حتی هؤلاء الآلاف لایمکن ضمان ولاءهم الی النهایة، اضافة الی وجود عدد من الصحابة لم یکونوا علی علاقة طیبة مع الامام من قبیل عبدالله بن عمرو سعد ابن ابی‌وقاص، زید بن ثابت و آخرین.

و بشکل عام شهدت المدینة المنورة جنوحا لدی سکانها الی حیاة الدعة خاصة بعد الامتیازات التی حصلوا علیها فی عهد الخلیفة الثانی و الثالث کان النصیب الأوفر لشخصیات کانت ذات یوم تناصب الاسلام العداء، بل ان حکام الاقالیم انتخبوا و مع بالغ الاسف من هؤلاء وابنائهم فمعاویة حکم الشام والیا مدة عشرین سنة بعد أخیه یزید بن أبی‌سفیان و سلمت الکوفة الی الولید بن عقبة ثم الی سعید بن العاص و هذا الوضع الشاذ یرفضه الامام رفضا قاطعا و لایتساهل فیه.

أما الهزة الروحیة التی أحدثها النبی صلی الله علیه وآله وسلم کما فی النفوس فقد بدأت تنحسر و بدأ البعض ینظر الی الامام بروح من الحقد

[صفحه ۹۴]

والانتقام و الکراهیة بسبب مصرع اخوانهم أو آبائهم فی معارک الاسلام الأولی من بدر الی حنین.

أما البیعة الشعبیة للامام و مشاهد تدفق الجماهیر لمناشدة الامام فی تصدیه لمسؤولیة الخلافة فسببها کان واضحا جدا و هو یعود الی الثقل الجماهیری الذی کونته الوفود القادمة من الاقالیم الاسلامیة المتململة و هؤلاء سوف یعودون بعد أنقضاء مهمتهم فی حسم مسألة الخلافة.

و یجب التأکید علی ان موقف قریش کان متشنجا الی حد کبیرازاء الامام و یعود الی ما ذر آنفا لان ذا الفقار قد وترهم جمیعا و هزمهم.

کما أن تمرکز الوجود القرشی فی المدینة فی عهد عثمان و بالخصوص الجناح الأموی قد أدی بالأضافة الی أسباب أخر الی هجرة أعداد کبیرة من الصحابة خارج المدینة المنورة حبا فی الجهاد و طهارة الثوب و النقاء و الابتعاد عن مغریات الحیاة الدنیا.

و قد فضل کثیر من الصحابة السکنی فی مدینة الکوفة مما جعل لها ثقلا دینیا کبیرا و موقفا مؤثرا فی الضمیر الاسلامی.

و مما یدعو للتأمل اننا لانجد فی الولاة الذی عینهم الامام علی علیه‌السلام أحدا من المهاجرین باستثناء بنی‌عمه و ما عدا هؤلاء سنجد شخصیات بارزة من الانصار کعثمان بن حنیف و أخیه سهل، و الانصار، و منذ حادثة السقیفة هضمت حقوقهم و اتبعت ضدهم

[صفحه ۹۵]

سیاسیات اتسمت بالتعسف خاصة فی عهد الخلیفة الثالث، فقد انبعثت الأحقاد القدیمة فی النفوس المریضة و بدأ الامویون بعد أن امسکوا بزمام الحکم باضطهادم.

یکفی أن نذکر بالحادث الذی سبق معرکة الجمل عندما احتلت البصرة من قبل الناکثین و بخدیعة ثم شن أحد ابناء المهاجرین غارة

لیلیـة علی الوالی من قبل الامام عثمان بن حنیف و تم اعتقاله و التنکیل به وعومل معاملة قاسیـة بعیدة کل البعد عن الأخلاق فقد نتف شعر رأسه و لحیته و حاجبیه و هموا بقتله لولا مخاوف من قیام أخیه سهل حاکم المدینة بخطوة انتقامة تقضی علی مصالحهم.

ان مجموع العوامل الآنفة الذکر تؤید منطقیة انتخاب الکوفة فی واحد من اکثر منعطفات التاریخ ثارة و حساسیة.

و بالرغم مما عاناه الامام فی العالمین الأخیرین من حیاته الا أن الکوفة ظلت املا فی اسـتمرار حرکة التصـحیح و الوعی حتی و لو بعد حین.

عود علی بدء

لقد وجدت من الضروری اقتباس قسم من الفصل الأیر فی کتاب الا علی لأنه سیسهم فی رسم زاویة من المشهد العام لمدینة الکوفة و حلقات الصراع مع تمرد اقلیم الشام و خروجه علی

[صفحه ۹۶]

الشرعیة.

و کان الامام قد وصل الکوفة یوم الاثنین الثانی و العشرین من رجب سنة ۳۶ ه. [۶۶] .

ارهاصات الحرب

شهـدت دمشق بعـد مصـرع عثمان بـدء الاسـتعدادات علی قدم و ساق للقیام بأوسع تمرد ضد الشـریعة، و تصاعدت و تیرة النشاط بعد حرب الجمل و ما تمخض عنها من جراح فی اعماق الامة.

و عرف مکعاوة من أین ستؤکل الکتف، فرفع قمیص عثمان لیکون افضل ذریعة لاعلان الحرب علی الامام.

و بـدأ معاویـة نشاطـا محمومـا فی تعبئـة کـل ما یمکن تعبئته ضـد علی علیه‌السـلام و کثف من مراسـلاته للشخصـیات و الزعامات فی مختلف مناطق الدولة الاسلامیة.

و فی تلک الفترة تبلورت فی ذهن معاویة التحالف مع عمرو ابن العاص ضد أمیرالمؤمنین علیه‌السلام. [۶۷] .

و کان الامام علی علیه‌السلام قد ارسل مبعوثه جریر بن عبدالله

[صفحه ۹۷]

البجلی لأخذ البیعة و اجتمع جریر بمعاویة و سلمه رسالة الامام و قد جاء فیها:

بسم الله الرحمن الرحیم

من عبدالله علی أمیر المؤمنین الی معاویة بن أبی‌سفیان.

أما بعد...

فقد لزمک و من قبلک من المسلمین بیعتی؛ و انا بالمدینة و انتم بالشام.

لأنـه بـایعنی الـذین بـایعوا أبـابکر و عمر و عثمـان...فلیس للشاهـد أن یختـار، و لاللغـائب أن یرد، و انمـا الأمر فی ذلک للمهاجرین و الأنصـار، فاذا اجتمعوا علی رجل مسـلم، فسـموه اماما کان ذلک لله رضـی فان خرج من أمرهم أحـد بطعن فیه أو رغبـة عنه رد الی ما

خرج منه؛ فان أبی علی اتباعه غیر سبیل المؤمنین، ولاه الله ما تولی، و یصله جهنم و ساءت مصیرا.
فادخل فیما دخل فیه المهاجریون و الأنصار، فان احب الأمور فیک و فیمن قبلک العافیة، فان قبلتها و الا فائذن بحرب.
و قد أکثرت فی قتلة عثمان، فادخل فیما دخل فیه الناس، ثم حاکم القوم الی، احملک و اياهم علی ما فی کتاب الله و سنة نبیه....
فاما تلک التی تریدها [۶۸] فانما هو خدعة الصبی عن

[صفحه ۹۸]

الرضاع. [۶۹] .
کان معاویة یهدف الی کسب المزید من الوقت ریثما یصل عمر و بن العاص. [۷۰] .
علی أن ذلک لم یمنع معاویة من الاحتفاء بجریر و اکرامه و محاولة کسبه الی جانبه.
و یبدو أن سیاسته قد نجحت فقد تأخر جریر فی عودته من مهمته.
و فی الکوفة شعر بعضهم بالقلق ازاء ما یجری فی الشام فاشاروا علی الامام بالاستعداد و اعلان الحرب؛ غیر ان الامام لم یجد ذلک مناسبا لأنه سوف یئدکل مشروع خیر فقال:
- ان استعدادی لحرب أهل الشام و جریر عندهم، اغلاق للشام و صرف لأهله عن خیر ارادوه، و لکن وقت لجریر وقتا لایقیم بعده الا مخدوعا أو عاصیا [۷۱] و الرأی عندی مع الأناة.

[صفحه ۹۹]

الحلف الدنس

وصل عمرو بن العاص دمشق و دخل مع معاویة علی الفور فی مفاوضات مکشفوة انتهت بتحالف دنس.
لقد عرف کل منهما صاحبه، فمعاویة یحتاح الی عقل ذکی و شخصیة یمکنها أن تلبس الاشیاء غیر ثوبها الحقیقی، شخصیة متلونة وصولیة، انتهازیة لاتعرف شیئا مقدسا.و عمرو بن العاص یحتاج هو الآخر الی من یمکنه من تحقیق طموحاته و أطماعه و بکلمة واحدة یصنع له دنیاه.
لنتأمل فی جانب من حوار الرجلین:
قال معاویة:
- یا أبا عبدالله، طرقتنا فی هذه الأیام ثلاثة امور، لیس فیها ورد و لاصدر.
- ما هن؟
- اما أولهن: فان محمد بن حذیفة [۷۲] کسر الجسن و هرب الی مصر فیمن کان معه من اصحابه و هو من اعدی الناس لنا.

[صفحه ۱۰۰]

و اما الثانیة: فان قیصر الروم قد جمع الجنود لیخرج الینا لیحاربنا علی الشام.

و اما الثالثة: فان جریرا قدم رسولا لعلی بن ابی‌طالب یدعون الی البیعة له أو ایذان بحرب.

لنری الآن اجوبة ابن العاص، و رؤیته فی معالجة المشکلات، و کیفیة نفوذه لتحقیق غایاته، قال عمرو:

- اما ابن حذیفة فما یغمک من خروجه من سجنه فی اصحابه، فارسل فی طلبه الخیل، فا نقدرت علیک فذاک و ان لم تقدر علیه لم یضرک.

و أما القیصر [۷۳] فاکتب الیه تعلمه انک ترد علیه جمیع من فی یدیک من اسری الروم، و تسأله المصالحة.

و اما علی بن ابی‌طالب...

سکت عمرو لخطات لیسدد سهامه فقال:

- ان المسلمین لایساووق بینک و بینه...

قال معاویة مقاطعا:

[صفحه ۱۰۱]

- انا مالا علی قتل عثمان، و اظهر الفتنة، و فرق الجماعة.

و تظاهر عمرو بتأیید تخرصات معاویة و قال:

- انه و ان کان ذلک..فلیست لک مثل سابقته و قرابته، و برقت فی عینیه الاطماع فاردف قائلا:

و لکن ما لی ان شایعتک الی أمرک حتی تنال ما ترید؟

أعطی معاویة صاحبه صکا مفتوحا:

- حکمک.

قال عمرو قد سال لعابه لمملکة الفراعنة:

- اجعل لی مصر طعمة ما دامت لک ولایة.

سکت معاویة ان مفاوضه یرید مصر لمقة خالصة له لایشاکره فیها أحد، قال بعد لحظات صمت:

- لو شئت أن أخدعک خدعتک.

قال عمرو قد برقت عیناه کثعلب:

- ما مثلی یخدع.

- ادن منی اسارک.

و ارهف عمرو أذنیه لمعاویة الذی قال:

- هذه خدعة، هل تری فی البیت غیری و غیرک.

و أردف:

- اما تعلم أن مصر مثل العراق؟

قال عمرو بخبث:

[صفحه ۱۰۲]

– غير انها انما تكون لى اذا كانت لک الدنيا، و انما تكون لک ان غلبت عليا.

و فى النهاية تمت الصفقة، و تأسس الحلف الدنس بين رجلين جمعتهما المصالح و الاطماع.

و فى جو محموم حرر الطرفان صيغة الاتفاق و اصبحت مصر شعبا و مقدرات و ثروات (طعمة) لعمرو بن العاص بموجب ذلک الاتفاق.

و بدأ الطرفان منذ ذلک التاريخ التخطيط لمواجهة الخطر القادم من العراق.

و لقد حاول الامام على اسداء النصح الى عمرو بن العاص قبل أن ينغمس فى دنيا معاوية فبعث اليه برسالة هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله على أمير المؤمنين الى عمرو بن العاص...

اما بعد...

فان الدنيا مشغلة عن غيرها، صاحبها منهوم فيها، لايصيب منها شيئا الا ازداد عليها حرصا، و لم يستغن بما نال عما لايبلغ، و من وراء ذلک فراق ما جمع؛ و السعيد من اتعظ بغيره فلا تحبط عملک بمجاراة معاوية فى باطله، فانه سفه الحق و اختار الباطل....و السلام. [۷۴].

[صفحه ۱۰۳]

غير ان ابن العاص كان قد سقط فى حبائل الشيطان و لم يعد يبصر امامه شيئا سوى «مصر»..

و هكذا بدأ التحضير لتفجير الصراع مع على وفق خطة مدروسة بعناية.و من خلال الحوادث التى رافقت انفجار الاوضاع فى صفين يبرز وجه عمرو بن العاص كعقل مدبر و سياسى ماكر؛ فقد اشار على معاوية بعد عودة مبعوث الامام الى الكوفة الا يعلن نفسه خليفة ابدا، و أن يبذل قصارى جهده فى اشارعة أكبر اكذوبة فى تاريخ الاسلام و هى مسؤلية على عليه‌السلام الكاملة عن مقتل عثمان؛ و أن المطالبة بدمه سوف توحد الرأى العام فى الشام لصالحه. [۷۵] .

و قد رتب معاوية خطة ماكرة فى كسب علية القوم فى الشام حتى باتوا اكثر حماسا من معاوية نفسه فى مناوئة أهل العراق و رفض خلافة على عليه‌السلام.

و فى هذا قال على عليه‌السلام فى احدى المناسبات: «ألا و أن معاوية قاد لمة من الغواة و عمس عليهم الخبر حتى جعلوا نحورهم

[صفحه ۱۰۴]

أغراض المنية» وراح ابن العاص يطلق الأكاذيب تلو الأكاذيب ضد على على طريقة كذب ثم كذب حتى يصدقك الناس؛ حتى راحت اكاذيبه تزكم الانوف، و وصلت اخبارها العراق فقال لعى:

عجبا لان النابغة!! يزعم لأهل الشام أن فى دعابة و انى امرؤ تلعابة!...لقد قال باطلا..و نطق آثما...أما – و شر القول الكذب – انه ليقول فيكذب و يعد فيخلف و يسأل فيبخل، و يستأل فيلحف، و يخون العهد و يقطع الأل...

و يفلسف الامام مهجه الاخلاقى و سيرة خصمه فيقول:

اما و الله انى ليمنعنى من اللعب ذكر الموت، و انه ليمنعه من قول الحق نسيانه الآخرة...ثم يفضح تحالفه مع معاوية قائلا:

انه لم يبايع معاوية حتى شرط أن يؤتيه آتية و يرضخ له على ترک الدين رضيخة.

و هكذا أوجز على تحالف ابن العاص مع معاوية بعبارة بليغة أنها صفقة الدنيا مقابل الدين؛ و لقد باع عمرو بن العاص دينه بدنيا غيره. [۷۶] .

و قد لجأ الكثير الى المعاوية لاحبا به و لكن كرها لعلى فرارا من وجه العدالة [۷۷] غير مدركين أن العدل هو الاساس الذى ينهض

[صفحه ۱۰۵]

عليه الرخاء و الأمن الاجتماعى، «أن فى العدل سعة و من ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق» [۷۸] .

الطريق الى صفين

يشعر المرء و هو يستكشف حوادث تلك الحقبة التاريخية من الزمن [۷۹] بعمق التغيرات النفسية و التحولات الفكرية و الاجتماعية التى المت بالمجتمع الاسلامى و الأمة نذاك و التى ادت فيما بعد الى ظهور تيارات فكرية متناقضة و من ثم تنامى التيار «السفيانى» اذا صح التعبير و استيلائه على مقدرات الدولة الاسلامية بل و انحرافه بالمسار الحضارى للاسلام منذ كارثة صفين. [۸۰] .

[صفحه ۱۰۶]

يقول على و هو يقسم مجتمعة الى خمسة اصناف و يصف زمانه:

«أيها الناس..انا قد اصبحنا فى دهر عنود..و زمان كنود...يعد فيه المحسن مسيئنا..و يزداد الظالم فيه عتوا..و لانتفع بما علمنا و لانسأل عما جهلنا و لانتخوف قارعة حتى تحل بنا...

و الناس على اربعة اصناف:

منهم: من لايمنعه الفساد فى الأرض الا مهانة نفسه و كلالة حده...

و منهم: المصلت لسيفه و المعلن بشره و المجلب بخيله و رجله...

قد اشرط نفسه، و أوبق دينه...لحطام ينتهزه، أو مقنب يقوده..أو منبر يفرعه...و لبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمنا و مما لك عن الله عوضا.و منهم: من يطلب الدنيا بعمل الآخرة و لايطلب الآخرة بعمل الدنيا.

قد طامن من شخصه و قارب من خطوه، و شمر من ثوبه، و زخرف من نفسه للأمانة، واتخذ ستر الله ذريعة الى المعصية.

و منهم: من ابعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه و انقطاع سببه فقصرته الحال على حاله فتحلى باسم القناعة، و تزين بلباس الزهادة...»

[صفحه ۱۰۷]

و هنا يأتى دور الصنف الخامس و هو الذى يمثل الضمير المقهور فى اعماق الامة، فيقول:

و بقى رجال غض ابصارهم ذكر المرجع، و أراق دموعهم خوف المحشر، فهم بين شريد ناد...و خائف مقموع، و ساكت مكعوم، وداع مخلص، و ثكلان موجع، قد اخملتهم التقية و شملتهم الذلة، فهم فى بحر أجاج، أفواههم ضامزة (ساكنة) و قلوبهم قرحة، قد وعظوا حتى ملوا و قهروا حتى ذلوا، و قتلوا حتى قلوا. [۸۱] .

طبول الحرب

وصلت المراسلات [۸۲] بین الامام و معاویة الی طریق مسدود..و دوت فی دمشق طبول الحرب...و لم یجد الامام بدا من معالجة الانحراف بالقوة و سمع أمیر المؤمنین یقول و قد استنفد کل الوسائل السلمیة مع والی الشام الطموح:

«...و لقد ضربت أنف هذا الأمر و عینه...و قلبت ظهره و بطنه فلم أر

فیه الا القتال أو الکفر بما جاء به محمد صلی الله علیه و آله...».

و فی عاصمة الخلافة أعلن الامام حالة النفیر الامام...

[صفحه ۱۰۸]

وتجمعت الألوف و خرجت طلائع جیش الامام الی «النخیلة» التی اصبحت منطقة تحشد عسکریة مذ ذلک التاریخ...

و لنحاول أن نتخیل الامام و هو یتقدم من فرسه و قد وضع رجله فی الرکاب...فیتذکر کلمات قالها سیدنا محمد صلی الله علیه وآله قبل اکثر من ثلاثین سنة..رنا الامام بناظریة الی السماء...الی العالم اللانهائی وردد ذات الکلمات قائلا:

«اللهم انی اعوذبک من وعثاء السفر...و کآبة المنقلب..و سوء المنظر فی الأهل و المال و الولد...اللهم أنت الصاحب فی السفر و أنت الخلیفة فی الأهل...»

و هنا یضیف الامام من بنات افکاره لتنفتح «لباب» علی «المدینة» [۸۳] فیقول:

«و لایجمعها غیرک، لان المستخلف لایکون مستصحبا و المستصحب لایکون مستخلفا» [۸۴] .

فتتوحد المسیرة التی ابتدأها رسول‌الله و استأنفها وصیه..

انها اخلاق محمد صلی الله علیه و آله تتألق فی علی..و معانی رسالته تنبض فی مفردات ابدعها مؤسس البلاغة فی دنیا العرب.

[صفحه ۱۰۹]

النخیلة

استخلف الامام علی علی الکوفة الصحابی أبا مسعود الأنصاری [۸۵] و اتجه الی النخیلة [۸۶] و کان عمار بن یاسر شیخ المهاجرین قد سبق الامام الیها؛ و من النخیلة بعث الامام برسائله الی ولاته علی المدن و الاقالیم الاسلامیة بالقدوم.

و بدأت الحشود العسکریة تتجمع من مختلف الأقالیم و فی طلیعة من استجاب لدعوة الامام مدینة البصرة، حیث لبی الأحنف ابن قیس نداء الامام.

و فی النخیلة القی الامام خطابا أوضح فیه خطته فی الزحف باتجاه الشام قائلا: الحمد لله کلما وقب لیل و غسق...و الحمد لله کلما لاح نجم و خفق...و الحمد لله غیر مفقود الانعام؛ و لامکافأ الافضال.

اما بعد...

فقد بعثت مقدمتی و أمرتهم بلزوم هذا الملطاط (شاطی الفرات) حتی یأتیهم امری...

و قد رأیت أن اقطع هذه النطفة (نهر الفرات) الی شرذمة منکم، موطنین أکناف دجلة، فأنهضم معکم الی عدوکم و اجعلهم

[صفحه ۱۱۰]

من امداد القوة لکم. [۸۷] .

و انطلقت مقدمـة الجیش تطوی المسافات، و کانت المقدمـة تتألف من ۱۲۰۰۰ مقاتل فی قوتین منفصـلتین یقودهما کل من زیاد ابن النضر و شریح بن هانی و زودهما بتعلیماته الحربیة التی یغلب علیها استراتیجیته فی الدفاع و تفادی الاصطدام ما امکن.

قال الامام و قد وقف القائدان امام باحترام:

لیسرکل واحـد منکم منفردا عن صـاحبه؛ فان جمعتکما حرب فأنت یا زیاد الأمیر...و اعلما أن مقدمـة القوم عیونهم، و عیون المقـدمة طلائعهم، فایاکمـا أن تسأما عن توجیه الطلائع..و لاتسیرا بالکتائب و القبائل من لـدن مسیرکما الی نزولکما الا بتعبیـة و حـذر، و اذا نزلتماه بعدو أو نزل بکم، فلیکن معسـکرکم فی اشرف المواضع، لیکون ذلک کم حصنا حصینا، و اذا غشیکم اللیل، فحفوا عسکرکم بالرماح و الترسـة، و لیلیهم الرماة، و ما اقمتم فکـذلک فکونوا..لئلا یصاب منکم غرة، واحرساه عسـکرکما بأنفسـکما، و لاتذوقا نوا الا غرارا و مضمضـمة، و لیکن عنی خبرکما، فانی و لاشـی ء الا ما شاء الله حثیث السیر فی اثرکما، و لاتقاتلا حتی تبدأ أو یأمتیکما أمری ان شاء الله..

[صفحه ۱۱۱]

و مرت ثلاثـة أیـام علی تحرک مقدمـة الجیش، و فی الیوم الثـالث تحرک جیش الامـام بکـل فیـالقه التی نـاهز عـدد مقاتلهـا الثمانین ألف...حتی اذا أطلت علی خرائب مدینة «بابل» [۸۸] أمر الامام بالاسراع فی اجتیازها قائلا:

«ان هذه مدینة قد خسف بها مرارا، فحرکوا خیلکم، و أرخوا اعنتها حتی تجوزوا موضع المدینة، لعلنا ندرک العصر خارجا منها».و فی مدینـة الرقـة عبر الامـام بجیشه نهر الفرات؛ و فی مکـان یـدعی سور الروم اصـطدمت مقدمـة جیشه بفرسـان الشـام یقودهم أبو الأعور السلمی؛ و وصلت انباء ذلک للامام علی فأمر قائده الشجاع مالک الاشتر بالاسراع و قیادة المقدمة.

و اشتبک الفریقان الی اللیل...

و فی غمرة الظلام فضل قائد مقدمة الشام الانسحاب...

و العودة الی معاویة و کان جیوشه قد بسـطت سـیطرتها عی مصادر المیاه فی شواطی الفرات فی وادی صفین [۸۹] الفسیح، و یبدو من خلال ما ورد فی بعض المصادر التاریخیـة ان المنطقـة التی احتلتها کتائب من جیش معاویة کانت منطقة مشـجرة کثیفة، ما خلا طریق مرصوف بالحجارة یتوسط تلک المنطقة الملیئة

[صفحه ۱۱۲]

بالاوحال؛ و من هنا فان احتلال ذلک الطریق یعنی السیطرة علی منابع المیاه، و هـذا ما فعله جیش معاویة؛ فکشف بذلک عن اخلاقیة هابط فی مبـادی الحرب؛ علمـا بان الامام و حتی تلک اللحظـة لم یعلن الحرب، و کان یؤکـد علی وجود فرصـة للتفاهم و حل الأزمة بالطرق السلمیة.

وصلت جیوش الخلافة وادی صفین فوجدت قوات [۹۰] معاویة قد احتلت القریة [۹۱] .

و سیطرت علی الطریق الوحید الذی یؤدی الی ضفاف الفرات.

الظامئون

ارسل الامام صعصعة بن صوحان و کان صحابیا جلیل القدر الی معاویة و حملة رسالة شفهیة قائلا:

«ایت معاویة فقل له: انا سرنا الیکم لنعذر قبل القتال فان قبلتم کانت العافیة احب الینا...و أراک قد حلت بیننا و بین الماء، فان کان اعجب الیک أن تدع ما جئنا له، و نذر الناس یقتتلون علی الماء حتی یکون الغالب هو الشارب فعلنا».

و اجتمع معاویة مع ارکان حربه للتدارس حول الموضوع،

[صفحه ۱۱۳]

و سیطرت علی الاجتمع روح من الحقد الدفین و الدناءة و الغدر و القسوة..باستثناء عمرو بن العاص الذی اعتبر خطوة معاویة خطوة حمقاء قائلا:

أری أن تخلی عن الماء، فان القوم لن یعطشوا و انت ریان.

غیر أن معاویة الذی عجنت روحه بالاطماع و الغدر استجاب الی آراء تنضح حقدا و انتقاما [۹۲] .

و ادرک موفد علی علیه‌السلام أن معاویة سوف یشدد قبضته علی النهر...فعاد الی المام یحیطه علما.

و تمر الساعات بطیئة قلقة...و قد استبد بجنود الامام الظمأ...و کان علی من یرید الماء أن یقطع مسافة ۱۲ کم من اجل الحصول قطرات تطفیء لهیب الأعماق فی ذلک الصیف الملتهب. [۹۳] .

و مرت ثلاثون ساعة، و قد لاحت فی الافق ملامح الکارثة - و فی اللحظات الأولی من الفجر ألقی الامام فی کتیبة مالک الأشتر المؤلفة من الفرسان کلمات تتألق بسالة.

قد استطعموکم القتال...فاقروا علی مذلة و تأخیر محلة..أو رووا السیوف من الدماء ترووا من الماء..

[صفحه ۱۱۴]

ثم دوت کلماته الخالدة:

فالموت فی حیاتکم مقهورین و الحیاة فی موتکم قاهرین.

و شن سلاح الفرسان هجوما صاعقا و دارت معرکة ضاریة، و بدأت خطوط العدو تزلزل لعنف الهجمات،و اقتحم المهاجمون شواطی النهر، و غمست خیول لعی اقدامها فی المیاه الباردة.

علی... المجد الأخلاقی

اضاف علی بن أبی‌طالب علیه‌السلام نصرا خلاقیا کبیرا الی مجده العسکری...فاصدر أوامره الی قواته المرابطة فی «الشریعة» [۹۴] بالتزود بالماء و الانسحاب و فتح الطریق امام جنود الخصم بارتیاد النهر.

تلقی معاویة نبأ هزیمة قواته بهلع، فلقد اصبح مصیره و طموحاته علی کف عفریت؛ فاستدعی علی الفور مستشاره و معاونه عمرو بن العاص و قال بقلق:

ما ظنک بعلی؟!

اجاب ابن العاص و هو یدرک تماما اخلاقیهٔ علی:

ظنی أنه لایستحل منک ما استحللت منه..لأنه أتاک فی غیر الماء.

[صفحه ۱۱۵]

و شهدت الطریق المرصوفهٔ بالحجارهٔ «السقائین» من الفریقین و هم یتجهون الی شواطیء الفرات للتزود بما یلزمهم من المیاه [۹۵] و قد احدثت مواقف الامام الانسانیهٔ أثرا محدودا فی صفوف الشامیین اذ شهدت لیالی صفین محاولات تسلل من المواقع الشامیهٔ الی معسکر الامام، و فی کل الأحوال فالذین اختاروا الدنیا کانوا یتطلعون الی معاویهٔ أما الذین أرادوا الآخرهٔ و سعوا لها سعیها فکانوا یجدون طریقهم علی خطی علی علیه‌السلام مع التأکید علی وجود المخدوعین و هم الغالبیهٔ فی جیش معاویهٔ و وجود الحمقی و الأغبیاء فی جیش الامام و کان هؤلاء یمثلون شریحهٔ فاعلهٔ لها شأنها.

تقاریر من قلب المعرکهٔ

عاد الهدوء المشوب بالحذر مرهٔ أخری الی أرض صفین و لم تحدث اشتباکات تذکر.و جرت خلال تلک الفترهٔ مراسلات بین الفریقین لم تسفر عن نتیجهٔ: و من الطبیعی أن تصطدم المطامع و الأهواء بالمبادی و القیم و الدین الحق؛ و لهذا لم یجد الامام حلا مع هذا الوالی المتمرد الا الحرب أوالکفر بما جاء به محمد صلی الله علیه وآله کما عبر عن ذلک

[صفحه ۱۱۶]

الامام فی مناسبهٔ من الصراع المریر.

و خلال الفترهٔ التی سبقت الأشهر الحرم شد وادی صین ما یقرب من ثمانین اشتباک محدود علی مستوی الکتائب، و کان «القراء» [۹۶] فی کل مرهٔ یتدخلون لوقف القتال و البحث عن طریق سلمی لحل الصراع.

انسلخت الاشهر الحرم، واطل شهر صفر، و تمر الأیام، دون أن تلوح فی الافق بوادر للحرب، و یبدو أن اصحاب الامام قد استبطأوا قیادتهم فی اصدار الأوامر بالهجوم، و انتشرت شائعات حول شک الامام فی مشروعهٔ قتلا «القاسطین» [۹۷] و قد رد الامام علی ذلک بقوله:

اما قولکم أکل ذلک کراهیهٔ الموت؟ فو الله ما أبالی دخلت الی الموت أو خرج الموت الیل، و اما قولکم شکا فی أهل الشام! فو الله ما دفعت الحرب یوما الا و أنا اطمع أن تلحق بی طائفهٔ فتهتدی بی، و تعشوا الی‌ضوئی، و ذلک احبی الی من أقتلها علی ضلالها و ان کانت تبوء بآثامها.

و فی الغروب وقف جندی جهوری الصوت قریبا من معسکر القاسطین و هتف بأعلی صوته ناقلا انذار الامام:

[صفحه ۱۱۷]

انا امسکنا لتنصرم الأشهر الحرم، و قد تصرمت، و انا ننبذ الیکم علی سواء، ان الله لایحب الخائنین.

و اعلنت فی المعسکرین حالة التعبئة العامة، و ا شتعلت النیران، ایذانا بخوض حرب شاملة.

و ما أن اشرقت شمس الیوم التالی حتی کان الجیشان یقفان علی اهبة الاستعداد، و قد سیطرت حالة من الوجوم و الرهبة، أن من یقف فوق الروابی المشرفة علی الوادی الفسیح سوف یری کتائب الجیشین تصطف فی شکل لخطوط قتالیة و لرأی فی کل جیش سبعة خطوط، سیری خطین فی الجناح الأیمن، و خطین فی الجناح الأیسر و ثلاثة خطوی فی القلب.

عین الامام علی سلاح الفرسان فی جیشه الصحابی الکبیر عمار بن یاسر [۹۸] الذی لم تمنعه شیخوخته [۹۹] من الاشتراک فی المعارک بحماس المؤمن المجاهد الذی لایساوره الشک فی عدالة قضیته.

و عین علی المشاة عبدالله بن بدیل، و دفع الرایة العظمی الی هاشم بن عتبة المرقال.

و فی جیش معاویة کان عمرو بن العاص یقود سلاح الفرسان

[صفحه ۱۱۸]

أما مسلم بن عقبة [۱۰۰] الذی اشتهر فی التاریخ بمجرم بن عقبة فقد تصدی لقیادة المشاة.

و لم یحدث اشتباک ذلک الیوم [۱۰۱] ثم حدث اشتباک محدود فی صباح الیوم الذی یلیه.

و خرج فی یوم آخر عمار بن یاسر یقود مجموعة من الفرسان فتصدی له عمرو بن العاص و فی یده رایة سوداء و صاح:

هذا لواء عقده رسول‌الله.

فعلق الامام قائلا:

انا اخبرکم بقصة هذا اللواء: هذا لواء عقده رسول‌الله صلی الله علیه وآله و قال من یأخذه بحقة؟ فقال عمرو: و ما حقه یا رسول‌الله؟ قال: «لاتفر به من کافر و لاتقاتل به مسلما»..و لقد فر به من الکافرین فی حیاة رسول‌الله و قد قاتل به المسلمین الیوم.

و خرج عبدالله بن بدیل و کان من افاضل اصحاب الامام یقود مجموعة من فرسان العراق فانبری الیه أبو الأعور السلمی فی مثل ذلک من أهل الشام و جرت معارک بین الفریقین، و فی تلک اللحظات و الاشتباکات مستمرة قام عبدالله بحرکة جریئة اذ الهب ظهر حصانه بالسوط و شن هجوما صاعقا مخترقا خطوط العدو

[صفحه ۱۱۹]

و لم یتمکن أحد من اعتراضه و کان هدفه اقتحام مقر القیادة [۱۰۲] .

حتی اذ وصل قریبا منها تعرض الی عشرات الصخور فسقط شهیدا...و لقد أثار هجومه الجری اعجاب الجمیع بما فی ذلک معاویة نفسه اذ قال و هو یقف متأملا جثمانه الطاهر:

هذا کبش القوم.

فروسیة

عرض الامام علی علیه‌السلام علی معاویة و قد آلمه سقوط القتلی من الفریقین.قائلا: لم نقتل الناس بینی و بینک؟ ابرز الی فأینا قتل صاحبه تولی الأمر.و استشار معاویةابن العاص:

ما تری.

قال ابن العاص بخبث:

قد انصفک الرجل.

فقال معاوية بحقد:

اتخدعنى عن نفسى، و لم ابرز اليه و دونى «عک و الاشعرون» لقد کان معاوية يدک تماما بان مواجهة على تعنى مواجهة الموت

[صفحه ۱۲۰]

الأحمر.

و يبدو أن معاوية قد ازعجه موقف ابن العاص و شکک فى نواياه تجاهه، و لم يجد الأخير بدا و من اجل اعادة المياه الى مجاريها من أن يقول لمعاوية بعد أيام من البرود فى العلاقات:

سأخرج الى على غدا.

کان عمرو قد اعد عدته و کان يعرف نقطة الضعف فى خصمه العظيم.انها تمکن فى مجده الأخلاقى الذى يستمده من معلمه الأول..و برز عمرو بن العاص متحديا عليا:

يا أباالحسن اخرج الى أنا عمر بن العاص...

و خرج بطل الاسلام، و قد تألق ذو الفقار فى قبضة الفارس الذى لايهزم؛ و ما اسرع أن زج ابن العاص بسلاحه السرى! فکشف عن عورته و اظهر سوأته، و نجا من الموت المحقق!

و فر عمرو مذعورا و ربما مسرورا.

و تلقى معاوية قائد فرسانه! بلهجة فيها تهکم و سخرية قائلا:

احمد الله و سوداء استک يا عمرو. [۱۰۳] .

[صفحه ۱۲۱]

بدء الحرب الشاملة

تصاعدت حدة المعارک بين الفريقين، و سرى شعور بالرهبة بعد أن اشيع عن نية الامام فى بدء الهجوم العام، فقد خطب عشية الهجوم قائلا:

ألا انکم ملاقو القوم غدا بجميع الناس، فاطيلوا الليلة القيام و اکثروا تلاوة القرآن و سلو الله الصبر و العفو و القوهم بالجد...»

و فى الجانب الآخر ضاعف معاوية رواتب قبائل عک والاشعرين [۱۰۴] التى اقسمت على الصمود حتى النفس الأخير. [۱۰۵] .

أدى الامام صلاة الفجر فى لحظاته الأولى و قام بجولة لاستطلاع کتائب العدو، و اجرى تغييرات فى صفوف قواته.و لأول مرة منذ اندلاع المعارک قاد الامام سلاح الفرسان المؤلف من اثنى عشر ألف مقاتل فى هجوم مدمر، و دوت فى الفضاء هتافات: الله أکبر..و ارتجت الأرض تحت اقدام المحاربين....و کانت خطة الهجوم تقضى بالاندفاع الکاسح حتى مرکز القيادة، و قد تمکن المهاجمون من تمزيق صفوف العدو حتى أن معاوية أمر بتجهيز فرسه للفرار بعد أن جرت الاشتباکات قريبا منه.

و استمرت المعارک حى الليل و قد اسفرت الاشتباکات العنيفة عن سقوط عشرات القتلى و الجرحى؛ و فى طليعتهم

[صفحه ۱۲۲]

الصحابی البطل عمار بن یاسر. [۱۰۶] .

و فی صباح الیوم التالی استمر وقف القتال لانتشال جثث القتلی و مواراتهم الثری.

و فی عشیهٔ ذلک الیوم خطب الامام ایضا حاثا قواته علی الاستبسال:

ایها الناس اغدوا علی مصافکم، و ازحفوا الی عدوکم، غضوا الأبصار، و اخفضوا الأصوات، و اقلوا الکلام، و اثبتوا، و اذکرو الله کثیرا، و لاتنازعوا فتفشلوا، و تذهب ریحکم، و اصبروا ان الله مع الصابرین.

و فی الیوم التالی اشتبکت الفیالق فی ملحمهٔ عظیمهٔ و اندفع الجناح الأیسر فی جیش الشام فی هجوم عنیف لم یصمد له الجناح الأیمن فی جیش الامام، فأمر الامام أحد قادته [۱۰۷] باسناد

[صفحه ۱۲۳]

الجناح الایمن و دارت معارک رهیبهٔ، و کلف الامام قائده الشجاع الاشتر باعادهٔ قطعاته الی مواقعها، فنجح فی مهمته بعد أن قاد هجوما جریئا اجبر فیه العدو علی التراجع.

کان الوقت اصیلا عندما هدأت حدهٔ القتال و جاء الامام فأنب قواته فی الجناح الأیمن علی تقهقرهم فی بدء المعرکهٔ و اشاد باستعادتهم زمام المبادرهٔ:

و قد رأیت جولتکم، و انحیازکم عن صفوفکم، تحوزکم الجفاهٔ الطغام و أعراب أهل الشام، و انتم لهامیم العرب، و یآفیخ أن رأیتکم و الأنف المقدم، و السنام الأعظم و لقد شفی و حاوح صدری أن رأیتکم بأخرهٔ تحوزونهم کما حازوکم، و تزیلونهم عن واقفهم کما أزالوکم حسا بالنصال، و شجرا بالرماح، ترکب أولادهم أخراهم کالابل الهیم المطرودهٔ ترمی عن حیاضها و تذاد عن مواردها [۱۰۸] .

و اشتعلت المعرکهٔ مرهٔ اخری و عندما کامت الشمس تجنح للمغیب قاد الامام بنفسه قواته فی هجوم کاسه و کان هدفه احتلال مرکز قیادهٔ العدو، کان معاویهٔ یراقب المعرکهٔ بذعر و هو یری تقدم المهاجمین فاستشار عمرو بن العاص قائلا:

ما تری؟

[صفحه ۱۲۴]

اجاب ابن العاص:

أری أن تخلی سرادقک.

و انسحب معاویهٔ الی مکان أکثر أمنا.

و ماهی الا لحظات حتی وصل الامام و معه قواته [۱۰۹] فاطبقوا علی مرکز القیادهٔ و حولوه الی انقاض..و غمر الأرض الظلام فتوقفت المعارک.

و جیء الی الامام باحد الاسری فقال الاسیر متضرعا:

لا تقتلنی صبرا.

فقال الامام:

لا اقتلک صبرا انی اخاف الله رب العالمین.

و اردف و هو یحاول اضائة قندیل فی قلب اسیره:

خلوا سبیله... [۱۱۰].

و انطلق الأسیر و قد هزته المفاجاة.

الموت من اجل الخلود

اشتعلت المعارک مرة أخری، و کانت کفة النصر تمیل الی جانب الحق [۱۱۱] و شوهد الامام و هو یقاتل ببسالة و کانت اقوی

[صفحه ۱۲۵]

ضربات بعد مصرع عمار بن یاسر.

و هتف الامام: من یبایعنی علی الموت...فتقدم العشرات یبایعون الامام علی الموت الأحمر من اجل خلود اخضر حتی وصل عددهم تسعا و تسعین...

فقال الامام و هو یترقب تحقق نبوءة ابن عمه العظیم:

أین تمام المئة؟...این الذی وعدت به؟

و جاء رجل علیه اطمار صوف..کان محلوق الرأس لکأنه عاد توا من حج البیت العتیق...تقدم فبایع الامام علی الموت قتلا...

فسأله الامام عن هویته، فأجاب: أنا أویس القرنی. [۱۱۲].

[صفحه ۱۲۶]

اللیلة الطویلة

و صلت الحرب اخطر منعطفاتها، و ألقی الامام خطابا یزخر حماسا و ایمانا جاء فیه:

معاشر المسلمین! استشعروا الخشیة...و تجلببوا السکینة و عضوا علی النواجذ، فانه انبی للسیوف عن الهام...و اکملوا اللأمة..و قلقوا السیوف فی اغمادها قبل سلها...و اعلموا أنکم بعین الله، و مع ابن عم رسول‌الله، فعادوا الکر و استحیوا من الفر، فانه عار فی الأعقاب و نار یوم الحساب...و طیبوا عن انفسکم نفسا و امشوا الی الموت مشیا سححجا...

و مرة أخری أکد الامام هدف الهجوم القادم:

و علیکم بهذا السواد الأعظم، و الرواق المطنب؛ فاضربوا ثبجه، فان الشیطان کامن فی کسره، و قد قدم للثوبة یدا و أخر للنکوص رجلا، فحمدا حمدا! حتی ینجلی لکم عمود الحق «و أنتم الأعلون و الله معکم و لن یترکم اعمالکم»

و فی غبش الفجر بدأ الهجوم الشامل، و تزلزلت خطوط الدفاع فی جیوش الشام، و کان الامام قد خرج فی اجمل منظر...فقد رکب فرسا للنبی یسمی «الریح» و قدم بین یدیه بغلة النبی «الشهباء» و ارتدی عمامة رسول‌الله، و توهجت فی اذهان المؤمنین ذکریات مضیئة

لرسول السماء، و ها هو على يقودهم فى ذات الطريق التى سار عليها نبيهم العظيم.

[صفحه ۱۲۷]

و استبد بمعاويـة الهلع و هو يرى تقهقر قواته تحت ضـربات المهـاجمين، و امسک بزمام فرسه و قـد قفز قلبه الى حنجرته وراح يـدق بعنف کطبل مجنون..

و لم تفلح أوامر معاوية و لاصيحاته بعمرو أن يقدم قبائل «عک الاشعرين» فى تغيير الموقف.

و استمرت المعارک ستة و ثلاثين ساعة لايسمع فيها سوى «الهرير» [۱۱۳] و بين الفينـة و الأخرى کانت تدوى هتافات على: الله أکبر [۱۱۴] حتى بلغت اکثر من خمسمئة.

و لم تفلح مساعى معاوية فى وقف القتال و توقيع هدنة مؤقته...

و الى جانب معاوية قف الرجل الذى باع آخرته بدنيا غير..

کان يفکر فقتل کيف فکر ثم قتل کيف فکر...

التفت معاوية الى صاحبه و قد استبد به يأس قاتل:

ما ترى؟...فانما هو يومنا هذا و ليلتنا هذه!

و هنا نفث الشيطان فقال و هو يعرف کيف يطعن عليا فى خاصرته:

انى اعددت حيلة ادخرتها لمثل هذا اليوم.

[صفحه ۱۲۸]

قال معاوية متلهفا:

ما هى؟

تدعوهم الى کتاب الله حکما بينک و بينهم...

و اضاف بمکر:

فان قبلوه اختلفوا، و ان ردوه تفرقوا.

و اتسعت عينا معاوية دهشة و اصحبتنا أکثر جحوظا [۱۱۵] .

و على وجه السـرعة جمعت المصاحف فى واحـدة من اکبر المهازل فى التاريـخ...و ظهر مصـحف دمشق الأعظم تحمله خمسـة رماح طويلة.

مهزلة التحکيم

کـان لظهور المصاحف على الرماح [۱۱۶] الأثر البالغ فى شل العمليات الحربيـة، و بـدأت کلمات الاسـتنکار تشق طريقها ترشق الذى يريـدون للحرب أن تسـتمر، و مـا اسـرع أن ظهر تيـار عنيف يـدعو الى وقف القتـال فورا، و حـدث النشـقاق خطير فى صـفوف جيش الخلافة، ما لبث أن تحول الى کتلة عسکرية تهدد و تتوعد القيادة العليا.

[صفحه ۱۲۹]

و بذل الامام قصاری جهده فی توضیح خفایا «اللعبة» قائلا:

عباد الله! امضوا علی حقکم و صدقکم فی قتال عدوکم، فان معاویة و عمرو بن العاص و ابن ابی‌معیط و حبیب بن مسلمة و ابن ابی‌سرح و الضحاک بن قیس...لیسوا باحصاب دین و لا قرآن....

انا اعرف بهم منکم..قد صحبتهم اطفالا، و صحبتهم رجلا فکانوا شر اطفال و شر رجال...

و یحکم! انهم ما رفعوها لکم الا خدعة و مکیدة!

غیر أن الذین لا یدرکون من الامور الا مظاهرها الفارغة قد جعلوا اصابعهم فی آذانهم و اصموا اسماعهم، وازدادوا عنفا و شراسة فاحدقوا بالامام و قد برق الشر فی عیونهم. [۱۱۷] .

و قد حدث تماسک مدهش فی صفوف أهل الشام اثر ارتفاع ذلک الشعار البراق..فی مقابل تمزق مریع فی جیش الامام.

کان الجناح الأیمن بقیادة مالک الأشتر ما یزال یقاتل بضراوة و یتقدم نحو احراز النصر النهائی فی خطی واسعة، و لکن التصدع کان قد عم جبهة الامام مما انذر بوقوع انهیار عام؛ و من تلک

[صفحه ۱۳۰]

اللحظات المثیره بدأت مأساة الاسلام و انهیار الحضارة. [۱۱۸] .

وازدادت الأمور سوء بعد أن أصبح الامام فی قبضة تلک الطغمة من الحمقی، و بات علی القائد الأعلی للقوات المسلحة أن یستجیب الی مواقفهم، و ها هو الامام یتعب من ذلک فیقول:

لقد اصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها؛ و اصبحت اخاف لم رعیتی.

و من تلک اللحظة شعر الامام بأن الباطل سوف یکسب الجولة الی حین:

اما و الذی نفسی بیده: لیظهرن هؤلاء القوم علیکم، لیس لانهم أولی بالحق منکم، و لکن لاسراعهم الی باطل صاحبهم، و ابطائکم عن حقی..».

و أخذ تیار التمرد یتصاعد بشکل مخیف لینذر بوقوع کارثة بعد ان اطلقت تهدیدات بقتل الامام اذا لم یصدر أوامره الی الاشتر بوقف العملیات الحربیة و الانسحاب فورا.

و هکذا توقفت المعارک فی صفین...و نشطت الوفود للاعداد من اجل توقیع وثیقة التحکیم.

[صفحه ۱۳۱]

التاریخ یعید نفسه

یعید التاریخ نفسه احیانا فتظهر الحوادث و کأنها قد انبعثت من جدید، حتی فی بعض التفاصیل..لقد وضعت الحرب أوزارها فی صفین، و بدأ الاعداد لتوقیع وثیقة سلام بین الفریقین المتصارعین؛ و هنا یطل التاریخ لیعید ذکریات صلح قدیم بین الاسلام و الوثنیة، فی وادی الحدیبیة [۱۱۹] قریبا من مکة المکرمة.

ها هو أبوسفیان یرسل سهیل بن عمرو ممثلا للوثنیة لتوقع معاهدة سلام مع النبی صلی الله علیه وآله؛ و الیوم بعث معاویة بن أبی‌سفیان عمرو ابن العاص ممثلا للقاسطین لتوقیع هدند مع وصی النبی و أول [۱۲۰] من اسلم من الرجال.

جاء عمرو دخل خیمة الامام، و بدأ الکاتب فی تحریر وثیقة التحکیم فکتب:

بسم الله الرحمن الرحیم

هذا ما تقاضی علیه أمیرالمؤمنین علی بن ابی‌طالب و معاویة ابن ابی‌سفیان.و هنا تدخل عمرو بن العاص معترضا علی الکاتب:

هو امیرکم أما أمیرنا فلا...بل اکتب اسمه و اسم ابیه.

[صفحه ۱۳۲]

و تردد الوفد العراقی و اصیب بما یشبه اللوعة.قال الأحنف ابن‌قیس: لاتمحو أمیرالمؤمنین..یا أمیرالمؤمنین.

فقال علی علیه‌السلام: الله أکبر سنة بسنة رسول‌الله...و الله انی لکاتب رسول‌الله صلی الله علیه وآله یوم الحدیبیة.فکتب محمد رسول‌الله فقالوا: لست برسول‌الله و لکن اکتب اسمک و اسم ابیک، فأمرنی رسول‌الله أن أمحوها فقلت: لااستطیع، فمحاها بیده..ثم قال لی: انک ستدعی الی مثلها فتجیب.

و تناول الامام وثیقة التحکیم و محا امیرالمؤمنین منها...

فقال عمرو بخبث:

سبحان الله اتشبهنا بالکفار و نحن مؤمنون. [۱۲۱] .

فقال علی بغضب:

یابن النابغة و متی لم تکن للفاسقین ولیا و للمؤمنین عدوا؟

فنهض ابن‌العاص منزعجا:

و الله لایجمع بینی و بینک مجلس بعد الیوم.

أجاب الامام:

انی لاارجو أن یطهر الله مجلسی منک و من أشباهک.

و هکذا حررت وثیقة التحکیم.

[صفحه ۱۳۳]

الأربعاء ۱۳ صفر سنة ۳۸ ه.مصرع حضارة

هل کان الاشعث [۱۲۲] یمثل نفسیة مجتمع لم یعد یستسیغ عدل علی لکی یظهر بکل هذه القوة فیقف فی وجه علی؟.

هل کان الأشعث یمثل ارادة امة اخلدت الی الأرض و کانت تنتظر الی السماء فاذا بها تجعل منم معاویة ندا لعلی [۱۲۳] ؟ ها هو علی یجلس فی خیمته لیوقع وثیقة التحکیم:

بسم الله الرحمن الرحیم

هذا ما تقاضی علیه علی بن أبی‌طالب و معاویة بن أبی‌سفیان قاضی علی علی أهل العراق و من معهم و قاضی معاویة أهل الشام و من

معهم..

اننا ننزل عند حکم الله و کتابه..فنحیی ما أحیا و نمیت ما أمات فما وجد الحکما فی کتاب الله وهما أبوموسی الأشعری عبد الله بن قیس و عمرو بن العاص، عملا به، و ما لم یجدا فی کتاب الله فالسنة العادلة.

و اخذ الحکمان من علی و معاویة و من الجندین المواثیق انهما امینان علی انفسهما و اهلهما و الأمة لهما انصار علی الذی

[صفحه ۱۳۴]

یتقاضیان علیه و أجلا القضاء الی رمضان من هذه السنة [۱۲۴] و ان احبا أن یؤخراه أخراه.

کتب فی یوم الأربعاء ۱۳ صفر سنة ۳۸ ه

و بعد توقیع الوثیقة انسحبت الجیوش، و عاد علی الی الکوفة و رفضت بعض الفضائل دخول الکوفة و «خرجت» عن طاعة الامام. [۱۲۵] .

و منذ تلک اللحظة و علی یتلقی الطعنات المسمومة فیتأوه وحیدا.

الکارثة

اجتمع الحکمان فی «دومة الجندل» التی اختیرت جغرافیا کمکان وسط بین «العراق و الشام» بین علی و معاویة فاختارها «التاریخ» لیمسک بالحضارة الاسلامیة و یقذفها باتجاه الحضیض.

فما بین «صفین و «دومة الجندل» انفجرت کل اسباب الانحطاط فی حضارة الاسلام و ظهرت للعیان دمامل الجسد

[صفحه ۱۳۵]

الاسلامی بعد أن ظللت مستورة مدة ربع قرن أو تزید. [۱۲۶] .

سوف لن نواکب مسار المفاوضات بین عمرو بن العاص و أبی‌موسی الأشعری، لان تأمل عابر فی شخصیة الرجلین سوف یکشف بوضوح تام ما اسفرت عنه المباحثات التی لعبت فیها الأهواء و المطامع الدور أول و الأخیر فی تحدید النتیجة.

لقد اجبر الامام علی انتخاب الأشعری کممثل له کما اجبر من قبل علی وقف القتال والحق علی ابواب النصر الساحق؛ و مراجعة بسیطة لتاریخ الأشعری تکشف عن مدی الحقد الذی یکنه الأخیر للامام.

ان احداثا کبری و وقائع مزلزلة و ملابسات لا حد لها هی التی ادت الی وقف القتال و بدء سلسلة من المآسی انتهت بمصرع الامام علی علی ذلک النحو المؤسف و تنازل الامام الحسن عن الخلافة و من ثم استیلاء معاویة علی دفة الأمور فی الدولة الاسلامیة.

و اذا کان الاشعث قد تصدر الأحداث فی تلک الحقبة من

[صفحه ۱۳۶]

الزمن، و لعب دورا فی تصدع جبهة الامام واحداث انهیار فی الأوضاع لصالح معاویة فان ذلک لایدل علی قابلیات ذاتیة بقدر ما یدل علی مجمل التغیرات النفسیة و الفکریة و الاجتماعیة التی طبعت عصر الامام. [۱۲۷] .

رياح الزمهرير

شهدت دومة الجندل بدء المباحثات السرية بين عقليتين ماكرة و غبية، تتحركان في اطار دنيوي رخيص، و قد وضح منذ البداية انهما وضعا كتاب الله فوق الرف.فممثل أهل الشام يتحرك باتجاه مصر، يريد ابتلاعها كجزء من الاسلاب؛ و أبوموسى كان

[صفحه ۱۳۷]

يتحرك باتجاه صهره [۱۲۸] على ابنته ليكون خليفة للمسلمين، و هكذا اجتمعت الارادتان على اقصاء على، كما اقصى عن حقه من قبل.

لم يواجه عمرو بن العاص داهية العرب أية صعوبة في احتواء عقيلة ابى موسى الفارغة، و قيادته باتجاه النقطة اليت يريد.لقد ادرك ابن‌العاص كيف يتغلغل في اعماق صاحبه و يأخذ بناصيته.و بدأ سير المحادثات كما وصفها احد المؤرخين. [۱۲۹] .

عمرو بن العاص يتفنن في ابراز آيات الاجلال لابى موسى فيقول:

صحبت رسول‌الله صلى الله عليه وآله قبلى و انت أكبر سنا منى..

قال الأشعرى و هو يدخل في صلب الموضوع:

يا عمرو: هل لك فيما فيه صلا الأمة و رضى الله؟

ما هو؟

نولى عبدالله بن عمر، فانه لم يدخل نفسه في شيء من هذه الحروب.

قال عمرو بخبث:

أين أنت من معاوية؟

ما معاوية موضعالها، و لا يستحقها بشى من الأمور.

[صفحه ۱۳۸]

الست تعلم أن عثمان قتل مظلوما؟

بلى.

فان معاوية ولى عثمان، و بيته بعد في قريش ما قد علمت، فان قال الناس: لم ولى الأمر و ليست له سابقة؟ فان لك في ذلك عذرا تقول: اني وجدته ولى عثمان و الله تعالى يقول: «و من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا»...و هو مع هذا أخو أم‌حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وآله..و هو أحد اصحابه..

أجاب أبوموسى:

اتق الله يا عمر..اما ما ذكرت من شرف معاوية، فلو كان يستوجب بالشرف الخلافة، فكان احق الناس بها أبرهة بن الصباح فانه من ابناء ملوك اليمين التبابعة الذين ملكوا شرق الأرض و غربها...ثم أى شرف لمعاوية مع على بن ابى‌طالب؟ و اما قولك ان معاوية ولى عثمان فأولى منه ابنه عمرو، و لكن ان طاوعتنى احيينا سنة عمر بن الخطاب و ذكره بتوليتنا ابنه عبدالله الحبر..

و هنا ينبرى ابن العاص ليدفعه بالاتجاه البعيد:

فما یمنعک من ابنی عبدالله مع فضله و صلاحه و قدیم هجرته و صحبته؟

ان ابنک رجل صدق، و لکنک قد غمسته فی هذه الحروب غمسا...هلم نجعلها للطیب بن الطیب عبدالله بن عمر.

یا أباموسی انه لایصلح لهذا الأمر الا رجل له ضرسان

[صفحه ۱۳۹]

یأکل باحدهما و یطعم بالآخر.

و یحک یا عمرو! ان المسلمین قد اسندوا الینا امرا بعد أن تقارعوا بالسیوف و تشاکوا بالرماح، فلا نردهم فی فتنة.

و تظاهر عمرو بن العاص بانه یبحث عن حل:

فما تری؟

قال الأشعری:

أری نخلع هذین الرجلین علیا و معاویة ثم نجعلها شوری بین المسلمین، یختارون لانفسهم من احبوا.

وکاد عمرو أن یصفق فرحا، فتظاهر بصمت المغلوب:

رضیت بذلک..و هو الرأی الذی فیه صلاح الناس.

و بالرغم من کل التحذیرات حول مکر الن العاص و غدره و لکن الأشعری کان قد أصم أذنیه عن سماع أیة نصیحة [۱۳۰] .

و فی یوم شتائی و الریح تعوی فی الصحراء تقدم الأشعری لیرقی المنبر و یعلن ما اتفق علیه الحکمان ان اللحظة التی ارتقی

[صفحه ۱۴۰]

فیها الاشعری المنبر لیخلع علیا هی لحظة رهیبة، عوت فیها ریح الشتاء، و قد انقض قابیل علی أخیه، و دل الاسخریوطی فیها علی ابن مریم. [۱۳۱] .

و فر أبوموسی الی مکة یحمل معه عار الأبد و سبة الدهر؛ و عاد عمرو بن العاص الی دمشق لیسلم علی «صاحبه» بالخلافة.

غارات الشتاء

و من تلک اللحظة بدأت حالة التداعی لامة فقدت صوابها فهی تتخبط فی طریق الهاویة.و لم یتمکن الامام من وقف حالة التداعی التی عصفت بالامة بعد أن فقدت وعیها و بصیرتها؛ لنصغی الی ما یقوله الامام فی ذلک المقطع التاریخی الهام:

کم اداریکم کما تداری البکار العمدة [۱۳۲] و الثیاب المداعیة

[صفحه ۱۴۱]

کلما حیصت من جانب تهتکت من آخر..الذلیل و الله من نصرتموه.

و الامام یدرک الطریق الذی یصلح هذا القطیع و لکن:

و أنی لعالم بما یصلحکم و یقیم أودکم..و لکن لا أری أصلاحکم بافساد نفسی..

موقف الامام

تلقی الامام بحزن مریر انباء «دومة الجندل» هنا یقف امیر المؤمنین موقف التسلیم الکامل لارادة الله فالحیاة رحلة الی الله:

الحمد لله و ان أتی الدهر بالخطب الفادح، و الحدث الجلیل..

و اشهد أن لا اله الا الله لا شریک له لیس معه الی غیره...و ان محمد عبده و رسوله، صلی الله علیه وآله.

اما بعد...

فان معصیة الناصح الشفیق العالم المجرب تورث الحسرة و تعقب الندامة.

و قد کنت امرتکم فی هذه الحکومة أمری..

و نخلت لکم مخزون رأیی، لو کان یطاع لقصیر أمر [۱۳۳] فابیتم علی اباء المخالفین الجفاة، و المنابذین العصاة، حتی ارتاب

[صفحه ۱۴۲]

الناصح بنصحه، و ضن الزند بقدحه فکنت و ایاکم کما قال أخو هوازن [۱۳۴] :

امرتکم امری بمنعرج اللوی

فلم تستبینوا النصح الا ضحی الغد

الخوارج

و لقد استیقظ الخوارج و لکن فی ضحی الغد، و کانت یقظتهم عنیفة مجنونة مدمرة، و انطلقت صیحاتهم تهز دنیا الاسلام ترید اجتثاث شجرته من الجذور:

لا حکم الا الله!!

و بدأت العاصفة تزمجر لتطیح بالصرح الاسلامی بأسره، و انبری الامام لیفقأ عین الفتنة و یوقف حالة التداعی و یفضح شعارهم الذی تحول الی وثن تذبح عنده الضحایا؛ قال الامام:

کلمة حق یراد بها باطل! نعم انه لا ـ حکم الا الله، و لکن هؤلاء یقولون: لا امرة الا لله، و ان لا بد للناس من أمیر بر أو فاجر یعمل فی امرته المؤمن و یستمع فیها الکافر، و یبلغ اله فیها الأجل و یجمع به الفی، و یقاتل به العدو، و تأمن به السبل، و یؤخذ به للضعیف من القوی، حتی یستریح بر ویستراح من فاجر» [۱۳۵] .

[صفحه ۱۴۳]

العودة الی صفین

أدان الامام موقوف الحکمین، و اعتبر ذلک منافیا للاسلام، و بدأ یتأهب للعودة الی صفین حیث انفجر الصراع من قبل [۱۳۶] .

و فيما كان الامام يعبىء قواته لاستئناف الحرب بدأ الخوارج تحركهم، و تعدوا نطاق التنديد بالتحكيم و الخلافة و نظرية القيادة و انتقلوا الى دائرة التخريب، و اعلنوا حربا شعواء على كل من لا يشاطرهم آراءهم و بدأوا يشكلون خطرا داهما لايقل عن خطر العدو المتربص فى دمشق.

و كان من رأى الامام تأجيل مشكلة الخوارج الى ما بعد تصفية الحساب مع معاوية، و لكن الانباء المثيرة التى وصلت حول الفظائع التى ينفذها الخوارج غيرت من مسار الأحداث الى نقطة انهيار دامية، و مرة أخرى حاول الامام أن يتفادى الاصطدام بهم، و ارسل اليهم يدعوهم للالتحاق لمحاربة العدو المشترك.

[صفحه ۱۴۴]

و وصل الحوار معهم الى طريق مسدود، و كان لا بد من مواجهتهم بعد أن استباحوا أمن المجتمع الاسلامى [۱۳۷] و هكذا غيرت الجيوش طريقها باتجاه النهروان حيث عسكر الخوراج.

و حاورهم الامام بنفسه و تمكن من اقناع قطاع كبير منهم اعلن توبته و عودته الى دائرة الشرعية فيما اصر أربعة الاف منهم على القتال.و وقف الامام يوجه لهم انذاره النهائى:

فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى باثناء هذا النهر، و باهضام هذا الغائط على غير بينة من ربكم، و لاسلطان مبين معكم: قد طوحت بكم الدار،و احتبلكم المقدار، و قد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فأبيتم على اباء المنابذين، حتى صرفت رأيى الى هواكم؛ و انتم معاشر اخفاء الهام سفهاء الأحلام.

و اشتعلت المعركة عند جسر «النهروان» [۱۳۸] و كانت النتيجة مذهلة، فقد ابيد المارقون الا تسعة نفر فروا من ساحة المعركة و لم يستشهد من جيش الامام سوى تسعة نفر.

و عندما قال أحدهم: يا أمير المؤمنين! هلك القوم باجمعهم!

[صفحه ۱۴۵]

اجاب الامام و هو ينظر الى المدى البعيد:

كلا والله انهم نطف فى اصلاب الرجال و قرارات النساء، كلما نجم منهم قرن قطع، حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين.

و بالرغم من تكفيرهم للامام فأنه أوصى الأمة بعدم قتالهم بعده مشيرا الى مصدر الخطر الداهم: لا تقاتلوا الخوارج بعدى فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه.

كان الامام يتحرك فى ضوء النور المنبعث من اعماق السماء النور الذى اضاء فوق جبل حراء و لم يكن ليأبه نالى ما يعده المنجمون من خرائط للسماء، و لتقترن الكواكب كيف تشاء و لينكفأ الميزان و لتنقدح الابراج بالنيران [۱۳۹] ، فطريق على هو طريق

[صفحه ۱۴۶]

الاسلام و طريق الرسالة.

غارات الزمهرير

ذر الشیطان قرنیه فراح یعربد و یدمر ها هی عواصف الزمهریر تهب من جهة الشام حیث جثم القاسطون علی ارض الاسلام؛ لقد أخلد الذین آمنوا الی الأرض، و رضوا بالحیاة الدنیا من الآخرة عوضا.

و من هنا بدأت تأوهات الامام و هو یعیش فی زمن جائر.

بـدأت غارات الزمهریر، و الامام یقاوم العواصف وحیـدا لقـد اخلـدت الأمـة الی الأرض و ها هی الحضارة تتجه نحو الهاویة کشـمس تجنح للمغیب فی یوم شتائی.

سقطت مصر [۱۴۰] فی قبضة ابن‌العاص و قد انشب معاویة مخالبه فی اهلها و ثرائها.

و هکذا توالت الغارات، تعصف بالمدن و الحواضر الاسلامیة

[صفحه ۱۴۷]

کریح مجنونة [۱۴۱] منذ أن حکم الحکمان بما خالف کتاب الله و سنة رسوله. [۱۴۲] .

لنصغی الی الامام علی و هو یشهد تلک الجرائم فلا یجد له ناصرا ها هو یواجه الأمة و قد دکت خیول الغارات الأنبار هیت:

ألا و انی دعوتکم الی قتال هؤلاء القوم لیلا و نهارا و سرا و اعلانا و قلت لکم: اغزوهم قبل أن یغزوکم، فو الله ما غزی قوم فی

[صفحه ۱۴۸]

عقر دارهم الا ذلوا..فتواکلتم و تخاذلتم حتی شنت علیکم الغارات، ملکت علیکم الاوطان.

و هـذا أخوغامـد و قـد وردت خیله الانبـار، و قـد قتـل حسان بن حسان البکری، و ازال خیلکم [۱۴۳] عن مسالحها...و لقـد بلغنی أن الرجـل منهم کان یـدخل علی المرأة المسـلمة و الأخری المعاهـدة [۱۴۴] ، فینتزع حجلها و قلبهـا و قلائـدها ورعثهـا، مـا تمنع منه الا بالاسترجاع و الاسترحام ثم انصرفوا وافرین ما نال رجلا منهم کلم [۱۴۵] ، لا أریق لهم دم فلو أن امرأ مسلما مات من بعد هذا أسفا ما کان به ملوما بل کان عندی جدیرا.

ثم یعرب الامام عن عمق دهشته ازاء هذه الحالة المریرة، التی وصلت الیها الأمة:

«فیـا عجبا!...عجبا..و الله یمیت القلب و یجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم علی باطلهم، و تفرقکم عن حقکم، فقبحا لکم و ترحا حین صرتم غرضا یرمی.یغار علیکم و لا تغیرون، و تغزون و لا تغزون، و یعصی الله و ترضون!...

و هنا تبلغ الآلام ذروتها فینفجر القلب الکبیر و یتشظی حمما فیخاطب الضمیر النائم بلهجة کلها غضب:

[صفحه ۱۴۹]

«یا اشباه الرجال و لارجال! حلوم الاطفال..و عقول ربات الحجال لوددت انی لم ارکم و الم اعرفکم معرفـة و الله جرت ندما و اعقبت ساما...قاتلکم الله! لقد ملأتم قلبی قیحا و شحنتم صدری غیظا، و جرعتمونی نغب التهام انفاسا...»

ثم یعبر عن مظلومیته و ضیاع عقله الکبیر وسط نقیق الحمقی، فیقول:

و افسدتم علی رأیی بالعصیان و الخذلان، حتی لقد قالت قریش: ان ابن ابی‌طالب رجل شجاع، و لکن لاعلم له بالحرب: لله أبوهم، و

هل أحد منهم اشد لها مراسا..و اقدم فيها مقاما منى! لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين، وهأنذا قد ذرفت على الستين...و لكن لارأى لمن لايطاع.

و ها هو الامام يقف حائرا، يتساءل عما ألم بالأمة، بينما الضحاك بن قيس يغير على قوافل الحجيج فى الشهر الحرام، ليبث الرعب فى أيام ارادها الله أن تكون مفعمة بالسلام:

أيها الناس المجتمعة ابدانهم..المختلفة أهواؤهم؛ كلامكم يوهى الصم الصلاب و فعلكم يطمع فيكم الاعداء!

تقولون فى المجالس كيت و كيت، فاذا جاء القتال قلتم حيدى حياد؟ ما عزت دعوة من دعاكم، و لااستراح من قاساكم، أعاليل باضاليل و سألتمونى التطويل، دفاع ذى الدين المطول...».

و تنفجر تساؤلات الامام لامظلوم:

[صفحه ۱۵۰]

لايمنع الضيم الذلول..و لايدرك الحق الا بالجد!..أى دار بعد داركم تمنمعون؟ و مع أى امام بعدى تقاتلون؟..المغرور و الله من غررتموه..و من فاز بكم فقد فاز - و الله - بالسهم الأخيب..

و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل...اصبحت و الله لااصدق قوكم؛ لااطمع فى نصركم؛ و لاأوعد العدو بكم...ما بالكم؟! ما دواؤكم؟! ما طبكم أ؟!

و تبقى تساؤلات الامام دون جواب؛ فيغضب من اجل الله و يحاول هز الضمير المثقل بالخدر..المصفد باغلال الخوف.

ما بالكم؟ أمخرسون أنتم؟!

و جاءه جواب واهن:

يا أميرالمؤمنين! ان سرت سرنا معك!!

يا لهذه الأمة؟! تطلب من امامها أن يترك كل شىء ليتصدى الى الغارات هنا و هناك، بينما معاوية يربض فى دمش يخطط كيف يقضم «تراث محمد صلى الله عليه وآله»:

ما بالكم لاسددتم لرشد: و لاهديتم لقصد! أفى مثل هذا ينبغى لى أن أخرج؟! و انما يخرج فى مثل هذا رجل ممن ارضاه من شجعانكم و ذوى بأسكم، و لاينبغى لى ان أدع الجند و المصر و بيت المال و جباية الأرض و القضاء بين المسلمين والنظر فى حقوق المطالبين، ثم أخرج فى كتيبة اتبع أخرى..و انما أنا قطب الرحا تدور على و أنا بمكانى.

[صفحه ۱۵۱]

لقد بدأ عصر التيه وسوف تتوه امة الاسلام كما تاه قوم موسى من قبل تاهوا اربعين سنة، لنصغ الى الامام و هو يبشر بالتيه و الضياع لامة لم تعرف قدر امامها و راعيها فترته وحيدا فى مواجهة القاسطين!

ايها الناس لو لم تتخاذلوا نعن نصر الحق، و لم تهنوا عن توهين الباطل، لم يطمع فيكم من ليس مثلكم، و لم يقو من قوى عليكم...لكنكم تهتم متاه بنى‌اسرائيل..

و لعمرى ليضعفن لكم التيه من بعدى اضعافا بما خلفتم الحق وراء ظهوركم.

و هكذا غطت الامه فى نوم عميق، و ضرب على آذانها فلم تعد تسمع كلمات آخر الاوصياء فى التاريخ.

ها هو الامام یستنهض فیهم بقایا الروح..یدعوهم لمواجهة الزمهریر القادم من ارض الشام حیث ربض الشیطان.

و لکن لاشیء سوی صمت المقابر.و قام رجل لیقول:

هأنذا و أخی فمرنا بأمرک..

فیقول الامام متأسفا:

و این تقعان مما أرید؟

بل لقد وصل الامر أن دعاهم للجهاد و قد عصفت الغارات بالمدن و قتل نسوة و اطفال..

فلم یستجب أحد...فأخذ الامام سلاحه و مضی صوب

[صفحه ۱۵۲]

النخیلة وحیدا! [۱۴۶] .

و لکن علیا لم یکن الرجل الذی یخشی شیئا حتی لوظل وحیدا، و ها هی کلماته و هو یخاطبه اخاه و قد خوفه عواقب الطریق الذی سلکه دون مساومة أحد: «لایزیدنی کثرة الناس حولی عزة و لاتفرقهم عنی وحشة، و لاتحسبن ابن ابیک و لو اسلمه الناس متضرعا متخشعا، و لامقرا للضیم واهنا.

و هو الذی قال مرة:

«و الله لو تظاهرت العرب علی قتالی لما ولیت عنها».

الجمعة ۱۲ رمضان سنة ۴۰ ه

اطل رمضان بوجهه الکریم لیدخل الانسان المؤمن عوالم الملکوت، ریاح شباط تجوس خلال المدینة المشهورة بالغدر. [۱۴۷] .

صام علی بدأ رحلته الی الملکوت، یتضور جوعا، الجسد الآدمی یذوب أمام سطوح الروح و هی تتوهج کلما اقتربت لیلة القدر.

ها هو علی یرتقی المنبر...فکأنه یتأهب للرحیل..کان

[صفحه ۱۵۳]

یرتدی قیمصا من صوف...فی رجلیه نعلان من لیف خصفهما بنفسه...جبینه یتألق نورا من اثر السجود...حبس التاریخ انفاسه و هو یصغی الی کلمات رجل علی و شک الرحیل:

«الحمد لله الذی الیة مصائرالخلق...و عواقب الأمر...»

«...لم یولد سبحانه فیکون فی العز مشارکا.و لم یلد فیکون موروثا...و لم یتقدمه وقت و لازمان..»

ها هو یذکر الناس بالرحیل..لقد أزفت الساعة:

أوصیکم عبادالله بتقوی الله الذی البسکم الریاش، و اسبغ علیکم المعاش؛ فلو أن احدا یجد الی البقاء سلما او لدفع الموت سبیلا لکان ذلک سلیمان بن داود علیه السلام؛ الذی سخر له ملک لاجن و الانس مع النبوة و عظیم الزلفة، فلما استوفی طعمته و استکمل مدته، رمته قسی الفناء بنبال الموت اصبحت الدیار منه خالیة و المساکن معطلة، و ورثها قوم آخرون و أن لکم فی القرون السالفة لعبرة!...

و هنا یفجر اسئلة التاریخ لیتساءل عن مصیر حضارات سادت ثم بادت:

«أین العمالقـة و ابناء العمالقـة؟ این الفراعنة و ابناء الفراعنة؟ این اصـحاب مدائن الرس الذین قتلوا النبیین، و اطفؤوا سـنن المرسـلین، و احیوا سنن الجبارین؟!./..این الذین ساروا بالجیوش و هزموا بالألوف و عسکروا العساکر و مدنوا المدائن؟»

[صفحه ۱۵۴]

و ها هو یذکرهم بأنه و ریث الأنبیاء و أنه آخر الأوصیاء فهل ینتظرون من هو أهدی سبیلا:

ایهـا النـاس: انی قـد بثثت لکم المواعظ التی و عظ الأنبیاء بها اممهم، و أدتی الیکم ما دت الأوصـیاء الی من بعـدهم..الله انتم اتتوقعون اماما غیری یطأبکم الطریق و یرشدکم السبیل؟!

لقد بدأ عصر الانحطاط فی اللحظة التی هوی فیها الشهداء فی «صفین»؛

ألا انه قـد ادبر من الـدنیا ما کان مقبلا، و اقبل منها ما کان مـدبرا، و ازمع الترحال عباد الله الأخیار، و باعوا قلیلا من الدنیا لایبقی بکثیر من الآخرة لایفنی...

ما ضر اخواننا الذی سفکت دماؤهم - و هم بصفین - ألا یکونوا الیوم أحیاء؟ یسیغون الغصص و یشربون الرنق!...

ککـأن الامـام یتلفت هنـا و هنـاک یبحث عن اخـوان له طـووا معه الطریق الی صـفین: «این اخوانی الـذین رکبوا الطریق و مضوا علی الحق؟

أین عمار؟

و أین ابن التیهان؟

و أین ذو الشهادتین؟

و أین نظراؤهم من اخوانهم الذین تعاقدوا علی المنیة و أبرد برؤوسهم الی الفجرة؟!»

[صفحه ۱۵۵]

و هنا یصل الامام الی ذروة التأثر، فیضـرب علی لحیته الکریمة..و یسـتغرق فی البکاء من أجل کل الذین رحلوا وجباههم الی الشـمس فتنبعث من أعماق قلبه الکسیر آهة حری:

أوه علی اخوانی الذی تلو القرآن فاحکموه، و تدبروا الفرض فأقاموه..أحیوا السنة و أماتوا البدعة...دعوا للجهاد فأجابوا، و وثقوا بالقائد فاتبعوه..

ثم اطلق صیحاته کأنه یخاطب التاریخ و الأجیال:

«الجهاد الجهاد عبادالله!...

ألا و انی معسکر فی یومی هذا؛ فمن أراد الرواح الی الله فلیخرج!» [۱۴۸] .

صفین... هاجس العودة

سوف تبقی «صـفین» ارض التاریخ..نقطة للحضارة و میدانا للصـراع..الصـراع الخالد بین الخیر و الشـرور...و علی الذین یریدون توجیه حضارة الاسلام من جدید أن یعودا الی صفین؛ ای خنادق الصراع..خلف «القائد» [۱۴۹] .

ها هو علی یطالب الامة بالعودة الی صفین...لتحطیم

[صفحه ۱۵۶]

الاوثان البشریة...لاحراق العجل..و لیشهد رمضان انتصار الروح..انتصار محمد من جدید..و هزیمة ابناء الأحزاب [۱۵۰] .

لیالی البرد

ریاح شباط الباردة ما تزال تجوس الازقة، ها هو آخر الأوصیاء فی التاریخ...یخطو باتجاه الرحیل..لیالی رمضان تتألق بنور عجیب لاتستمده من ضوء القمر..و الاسحار تزخر بالنجوم کقلوب و اهنة تنبض من بعید...تراقب من أغوارها السحیقة انسانا یحمل میراث الأنبیاء.

الرجل الذی طهرته السماء، یمضی لیاله الأخیرة فی بیوت ابنائه وبنات...خاوی البطن [۱۵۱] لایفطر الی علی کسیرات من خبز..الجسد البشری یذوب تحت وهیج الروح العظیم...

الخمیس ۱۸ رمضان ۴۰ هجری

أفلت الشمس الخمیس سریعا کطبعها فی أیام شباط..نسائم

[صفحه ۱۵۷]

باردة تهب من ناحیة الشمال تبشر بلیالی الزمهریر الطویلة؛ و کان الافق الغربی شاحبا فکأنه یعلن عن غد غائم.

السحر ظلمات یتراتکم بعضها فوق بعض...و النجوم تشتد سطوعا فی سماء غارقة فی اللیل...

الامام جالس فی المحراب، قد أوهنه السهر و الانتظار...هومت عیناه..لیلج عالما آخر..عالما شفافا...تدفق شلال من نور محمد...اضاءت روحه المترعة بالحزن ابتسامة آخر الأنبیاء..حبیب الله..خف علی للقاء الحبیب یشکو الیه و یلات الأرض...همس علی بأسی: یا رسول‌الله، ماذا لقیت من امتک من الأود و اللدد؟! [۱۵۲] .

قال محمد صلی الله علیه وآله لأخیه:

ادع علیهم!

و وجد علی نفسه یتضرع الی السماء یشکوها ظلم الأمة:

أبدلنی الله بهم خیرا منهم، و أبدلهم بی شرا لهم منی.

لقد استشری الانحراف فی روح الأمة و باتت الأشیاء تری بالمقلوب، و من هنا کانت محنة علی، و هو یشق طریقه علی هدی محمد صلی الله علیه وآله فی درب قل سالکوه فاذا هو بین فریقین احدهما یکفر به و یکفره، و آخر یعبده [۱۵۳] .

[صفحه ۱۵۸]

اغتیال الشمس

تطلع علی الی السماء الزاخرة بالنجوم..الفضاء مشحون بشیء عجیب..لكأن السماء تمس الأرض، أو أن الأرض تتعلق بالسماء..هتف علی و الناس نیام:

انها اللیلة التی وعدت فیها! و الله ما كذبت و لاكذبت..الظلمة تتكاثف الفجر مایزال یمزق حجب الظلام..و علی یتخطی باحة المنزل و قد ولی وجهه شطر المسجد الأعظ..صاح الوز..كأنه یطلق استغاثة أو یحذر من المجهول؛ تمتم علی:

صوائح تتبعها نوائح..

و مضی علی یشق طریقه فی ظلمة الفجر..ازفت لحظة الرحیل..هناك فی زاویة من المسجد سیف مسموم..سیف یشبه ثعبانا منتفخا بالسم..

هتف امیر المؤمنین لیوقظ النیام:

الصلاة! الصلاة! عباد الله!

تحرك الثعبان...تلوی...ظهر صوت یشبه فحیح الافاعی..صوت ابلیس و هو ینفخ..صفیر موحش و بریق مخیف..و سیف جبان یهوی باتجاه و جه ما سجد لغیره الله و تفجرت الآلام و هتف علی و قد هوی فی المحراب: و قد غمرت وجهه و لحیته الدماء:

فزت و رب الكعبة: و ظهر ابلیس ینظر بحقد الی آدم و قد اجتباه ربه...وبدا قابیل یتشظی غیظا و هو یری قربان اخیه ترفعه

[صفحه ۱۵۹]

السماء...فسولت له نفسه قتل اخیه فقتله..فاظلمت الأرض و هبت عاصفة الزمهریر..

انطفأت قنادیل المسجد..انكفأت الشموع..و فر الربیع و بدا محراب المسجد الاعظم خاویا تغمره ظلمة مخیفة..و علی فی منزله یذوب جسده تحت وهج الروح و هی تتأهب للرحیل..

همسات قبل الرحیل

رغم كل الضجیج و الصخب الذی ضجت به تلك الحقبة من الزمنم...حیث عربدة الخنازیر، و صخب الشهوات...و حمی اللذائذ..و كلن علی كان یصغی الی نداءات قادمة من بعید..انها نداءات الرحیل ها هو علی یفلسف الحیاة...یفضح كل بهارج الدنیا بكلمتین: الرحیل و شیك [۱۵۴] .

حتی ان المرء لیحس سرعة الرحیل..من ایقاع الكلمة لكأنها سهم یخطف قرب الأذن...لاتشعر به و لاتسجل سوی صوت قصیر..قصیر للغایة...

و ها هو ینادی شهود عصره:

تجهزوا رحمكم الله! فقد نودی فیكم بالرحیل!..

[صفحه ۱۶۰]

لقد عاش علی غریبا فی عصره..لم تكن غربته غربة وطن لقد فقد احبته..انه یحن الیهم یتمنی لقیاهم..فیقول:

فقد الاحبة غربة..

كلمات تنضح حزنا و أسی..و لوعة و..

و عاش على يحارب الشرور...انه يعرف كيف يكافحها..يعرف أن ميدانها الأول فى اعماق النفس الانسانية..لهذا تراه يهمس بصوت هادى:

احمد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك...

و على يكشف للانسانية مأساة العقل البشرى أنها تكمن فى الاطماع..و ها هى العقول تتساقط أمام الاطماع..عندما تتحول الطموحات الرخيصة الى صواعق تنقض على العقول فتطفى فيها و هجها السماوى فيقول:

اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع.

و يقول:

الطمع رق مؤبد..

و يقول:

الطامع فى وثاق الذل.

و يلتفت الى رفاقه و قد مر بمزبلة فيقول:

هذا ما كنتم تتنافسون فيه بالأمس....

و هذا ما بخل به الباخلون.

[صفحه ۱۶۱]

و على يرسم اطريق لمن يريد أن يحيا كريما فيهمس فى الآذان الواعية:

من أشرف اعمال الكريم غفلته عما يعلم.

ويعلن رأيه فى الثراء الحقيقى قائلا:

كفى بالقناعة ملكا، و بحسن الخلق نعيما.

و على يرفع لواء الرحيل لأن:

الدنيا دار ممر لادار مقر..

و المجد لمن وعى كلمات على..فوهب لنفسه الحرية.

و على يثير اسئلة الانسان حول ظاهرة محيرة...عندما يسكت الانسان يفقد قدرته على النطق و التعبير؛ و يسكت خاشعا فى حضرة الموت...عندما يجلس الكائن البشرى و قد استسلم بذل؛ يتساءل على و هو يخاطب الانسان:

هل تحس به اذا دخل منزلا؟ أم هل تراه اذا توفى احدا؟ بل كيف يتوفى الجنين فى بطن امه؟!...أيلج عليه من بعض جوارحها؟ أم الروح اجابته باذن ربها؟!...أم هو ساكن معه فى احشائها؟!...

و ينظر على الى السماء فتمتلى روحه اجلالا للواحد القهار فيقول:

كيف يصف اليه من يعجز عن صفة مخلوق مثله؟!

و ستبقى لحظة الموت ميعادا و موعدا...لغزا يحير الانسان.

و ستبقى النفس البشرية عاجزة عن اكتشاف ذلك المجهول

[صفحه ۱۶۲]

و قد قال خالق النفس و باری الروح: (و ما تدری نفس ما ذا تكسب غدا و ما تدری نفس بای ارض تموت).

و ها هو علی يخاطب الانسانية جمعاء:

«ايها الناس! كل امری لاق ما يفر منه فی فراره.الأجل مساق النفس؛ و الهرب منه موافاته..»

كلما امعن الانسان فی فراره من الموت كلما اسرع فی خطاه نحو معانقة ما يفر منه..حتی لو اخفی نفسه فی البروج المشيدة.

فيقول علی:

كم اطردت الأيام ابحثها عن مكنون هذا الأمر، فأبی الله الا اخفاءه! هيهات! علم مخزون!.

ويلتفت عليالی الذين تحلقوا حوله..و قد أوشک علی الرحيل فيقول:

أنا بالأمس صاحبكم، و أنا اليوم عبرة لكم؛ و غدا مفارقكم..

لقد انتهی كل شیء و سوف يرحل آخر الأوصياء فی التاريخ، مازال يتكلم فتتدفق ينابيع الحكمة و يلخص وجوده قائلا:

و أنما كنت جارا جاوركم بدنی أياما..

و ستعقبون منی جثة خلاء..

ساكنة بعد حراک..

و صامتة بعد نطق...

ليعضكم هدوی و خفوت اطراقی..و سكون اطرافی..

[صفحه ۱۶۳]

و ستكشفت الانسانية عليا بعد رحيله...و هو يعرف ذلک فيهتف عاليا:

غدا ترون أيامی و يكشف لكم عن سرائری..و تعرفوننی بعد خلو مكانی..و قيام غيری مقامی..

حديث مع الأجيال

رياح شباط تهب مجنونة..تنخر فی العظام تبشر بالويل و الثبور..الامام يتأهب للرحيل..لقد مضی عهده السلام..

اجری الطبيب فحوصاته..لقد استشری السم...و أميرالمؤمنين مهدد بالموت بين لحظة و أخری..الروح العظيم يتوهج..فيذوب الجسد الآدمی..و الجبين الذی لامس الشمس ينضح عرقا..الشمس تهوی فی هوة الأفول...رمق علی ولديه...سبطی محمد و ريحانتيه من الدنيا..

علی يتحدث يوصی الأجيال و قد توقف التاريخ يصغی لميراث آخر الأوصياء:

اوصيكما بتقوی الله! و الا تبغيا الدنيا و أن بغتكما...

و لاتحزنا علی شیء منه زوی عنكما...و قولا بالحق..و اعملا للأجر..

و كونها للظالم خصما و للمظلوم عونا..

و هنا يهمس فی أذن الأجيال القادمة فيقول:

أوصيكما و جميع ولدی و أهلی...

[صفحه ۱۶۴]

و من بلغه كتابى....

بتقوى الله..و نظم امركم..و صلاح ذات بينكم...فانى سمعت جدكما صلى الله عليه وآله يقول: «صلاح ذات البين افضل من عامة الصلاة الصيام»، ثم يتدفق النبع الانسانى الذى يبنى العالم الأخضر:

«و الله..الله فى الايتام فلا تغبوا افواههم..و لايضيعوا بحضرتكم..و الله الله فى جيرانكم..فانهم وصية نبيكم مازال يوصى بهم حتى ظننا انه سيورثهم..

والله الله فى القرآن لايسبقكم بالعمل به غيركم...

والله الله فى الصلاة فاننا عمود دينكم..

والله الله فى بيت ربكم لاتخلوه ما بقيتم فانه ان ترك لم تناظروا..

والله و الله فى الجهاد باموالكم و انفسكم و السنتكم فى سبيل الله...

و عليكم بالتواصل و التباذل: و اياكم و التدابر و التقاطع...لاتتركوا الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فيولى عليكم شراركم..ثم تدعون فلا يستجاب لكم..

و هنا يوجه الامام خطابه الى بنى عبدالمطلب حتى لايصنعوا من ثيابه الملونه بدم الشهادة قميصا آخر فيقول:

«يا بنى عبدالمطلب لاالفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضا تقولون: «قتل اميرالمؤمنين...ألا لاتقتلن بى الا قاتلى..».

[صفحه ۱۶۵]

و هو يرد أن يغلق الى الأبد ملف الحادثة:

انظروا اذا أنامت من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة..و لاتمثلوا بالرجل..فانى سمعت رسول‌الله صلى الله عليه وآله يقول، «اياكم و المثلة و لو بالكلب العقور».

و سكت على..ليتحدث فيما بعد بلغة الصمت..ليبقى قبره المجهول عشرات السنين [۱۵۵] يرسم علامة استفهام كبرى على العهود المظلمة التى تلك اغتيال الشمس.

نبوءات الزمن القادم

و على يستشرف صفحات الغد القادم..و يرى الافاق البعيدة: ويلات الحروب..و امواج الفتن..و عواصف الزمهرير:

- سيأتى عليكم من بعدى زمان ليس فيه شىء اخفى من الحق...و لااظهر من الباطل..و لااكثر من الكذب على الله و رسوله.

و ليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب اذا تلى حق تلاوته..و لاانفق منه اذا حرف عن مواضعه..و لا فى البلاد شىء انكر من المعروف، و لا أعرف من المنكر..

فالكتاب و أهله فى ذلك الزمان فى الناس و ليسا فيهم..

و معهم و ليسا معهم..

[صفحه ۱۶۶]

لان الضلالة لاتوافق الهدى و ان اجتمعا...فاجتمع القوم على الفرقة و افترقوا على الجماعة..كأنهم أئمة الكتاب، و ليس الكتاب امامهم...فلم يبق عندهم منه الا اسمه.

- و يبشر الامام بعواصف الزمهرير التى ستهب من الشام بعد حين فتقول:

«اما انه سيظهر عليكم بعدى رجل رحب البلعوم..مندحق البطن...يأكل ما يجد و يطلب ما لايجد...فاقتلوه، و لعن تقتلوه!...ألا و انه سيأمركم بسبى و البراءة منى، فاما السب فسبونى فانه الى زكاة، و لكم نجاة، و أما البراءة فلا تتبرأوا منى، فانى ولدت على الفطرة، و سبقت الى الايمان و الهجرة.

- وسوف يبدأ زمن السقوط و الانحطاط عندما ينقض اعداء الاسلام القدامى على دين الله الحق....و تبدأ الحقبة الأموية المظلمة:

«والله لايزالون حتى لايدعو لله محرما الا استحلوه، و لاعقدا الا حلوه» و ستعم المأساة المدن و البوادى:

«حتى لايبقى بيت مدر و لا وبر الا دخله ظلمهم».

و سيبدأ زمن البكاء:

«و حتى يقوم الباكيان يبكيان: بالك يبكى لدينه، و باك يبكى لدنياه».

و سيبدأ زمن الويلات، عندما تشتعل الحروب المدمرة، و ها

[صفحه ۱۶۷]

هى البصرة [۱۵۶] تحترق فى أتون المعارك: و ستملىء الأهوار بالجماجم:

يا احنف كأنى به و قد سار بالجيش الذى لايكون له غبار و لالجب و لاقعقعة لجم، و لاحمحمة خيل يثيرون الأرض بأقدامهم، كأنهم اقدام النعام..

و سوف تتهدم البيوت و تخر سقوف المنازل:

ويل لسككم العامرة و الدور المزخرفة...التى لها اجنحة كأجنحة النسور و خراطيم كخراطيم الفيلة..من أولئك الذين لايندب قتيلهم، و لايفقد غائبهم..انا كاب الدنيا لوجهها، و قادرها و بقدرها، و ناظرها بعينها..

و ها هى الاقوام فى آسيا الصغرى تترك مراعيها لتجتاح بلاد الاسلام:

كأنى أراهم قوما كأن وجوههم المجان المطرقة..يلبسون الرق و الديباج و يعتقبون الخيل العتاق، و يكون هناك استحرار قتل..حتى يمشى المجروح على المقتول، و يكون المفلت أقل من المأسور!

[صفحه ۱۶۸]

و يشعر شهود ذلك العصر بالرهبة، و قد انكشفت أمامهم صفحات من الغد القادم..فيقول احدهم و كان كلبيا:

لقد اعطيت يا أميرالؤمنين علم الغيب!

و يبتسم على قائلا: يا أخا كلب، ليس هو بعلم غيب، و انما هو تعلم من ذى علم، و انما علم الغيب علم الساعة، و ما عدد الله سبحانه بقوله: (ان الله عنده لم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما فى الأرحام و ما تدرى نفس ماذا تكسب غدا و ما تدرى نفس بأى أرض تموت...) فيعلم الله سبحانه ما فى الأرحام من ذكر أو انثى، و قبيح أو جميل، و سخى أو بخيل، و شقى أو سعيد، و من يكون فى النار

حطبأ أو فی الجنان للنبیین مرافقا...فهـذا علم الغیب الـذی لایعلمه احد الا الله..و ما سوی ذلک فعلم علمه الله نیه فعلمنیه؛ و دعا لی بأن یعیه صدری و تضطم علیه جوانحی.

لیلة القدر

و فی لیلـة الحـادی و العشـرین من شـهر رمضـان المبـارک رحل علی..و فی قلب اللیل خرج رجال یعـدون بالاصابع یحملون الجثمان العظیم لیطووا مسافـة خمسـة أمیـال خارج الکوفـة...و هناک فی بقعـة طاهرة جرت مراسم دفن [۱۵۷] آخر الاوصیاء فی التاریخ...لقد قاب علی

[صفحه ۱۶۹]

عن دنیا الوقائع لیسطع اسمه فی ضمیر الأجیال..و یبقی خالدا فی وجدان الانسانیة علی مر العصور و الأیام..
و فی تلـک اللیلـة عرجت روح ذلک العظیم تتخطی السـموات فی اللیلـة التی توفی فیها موسـی بن عمران و رفع فیها عیسـی ابن مریم [۱۵۸].
و هکذا انطفأت الشمس التی اضاءت العالم حینا من الدهر و غمرته بالنور و الدفء لیبدأ زمن الزمهریر..و تضج الأرض بعواء الذئاب. [۱۵۹].

هبوب العاصفة

الکوفة بکل المقاییس ترتدی الیوم (۲۱ رمضان ۴۰ ه) حلة الحداد العام لقد رحل انسان عظیم ترک وراءه فراغا هائلا لمن یملأه أحد من العالمین.فی المسجد الجامع فی هذه المدینة العجیبة یرتقی أعود المنبر شاب فی السابعة و الثلاثین من عمره..شاب

[صفحه ۱۷۰]

یشبه النبی و ما تبقی من صـحابة النبی صـلی الله علیه وآله یتذکرون فی رؤیته الرسول صـلی الله علیه وآله الذی رحل عنه قبل ثلاثین سنـة و ربما تتـداعی فی أذهانهم صور طفولـة الحسن یوم کان جـده یحمله أو یقبله أو یشـمه و یقول: ان ابنی هذا سـید و لعل الله این یصلح به بین فئتین عظیمتین من المسلمین [۱۶۰] فهم یحبونه لأنه سمعوا حبیبهم رسول‌الله یقول: اللهم انی أحبه فاحببه.
هذا الرجل السـید هو الآن فوق اعواد منبر والده الراحل یواجه عاصـفة التاریخ و زوابع المحن و یواجه وحیدا کل عوامل الانحطاط فی حضارة الاسـلام؛ فالعراق بکل ثقلة الثقافی و السیاسی و العسکری اثبت بما لایقبل الشک جنوحه الی النوم فی صفین، بل أن المجتمع الاسلامی کله قد طرأت علیه تغیرات نفسیة شدیدة، تشده الآن الی الأرض و قد کان ینظر الی السماء.
هـذا الرجـل المهیب یستعد لأول خطاب یفتتـح به خلافته و الجماهیر محدقـة به تنظر الیه و تملأ عیونها منه...وجهه أبیض و قـد لوحه الشـمس ناکسـة حمرة خفیفـة ادعـج العینین سـهل الخدین کث اللحیة جعد الشـعر ذو وفرة کأن عنقه ابریق فضة بعید ما بین المنکبین ربعة لیس طویلا و لاقصیرا ملیح الوجه و قد أحاطته هالة من الهیبة و الوقار جدیرةبأبناء الانبیاء.

[صفحه ۱۷۱]

كان ينظر الى الافق المشحون بالعاصفة..عاصفة الشيطان انه هناك فى نقطة ما يتربص فى أعماق البشر، لقد أنطفأ السراج الذى كان يشير الى طريق الحق...لقد رحل على عن العالم من أجل هذا كان الحسن يختنق بكلمته و هو يؤبن الراحل العظيم:

-..لقد قبض فى هذه الليلة رجل لم يسبقه الألون بعمل، و لم يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول‌الله فيقيه بنفسه، و كان رسول‌الله يوجهه برايته فيكنفه جبرائيل عن يمينه و ميكائيل عن شماله، لايرجع حتى يفتح الله، و لقد توفى فى هذه الليلة التى عرج فيها عيسى بن مريم و قبض فيها يوشع بن نون وصى موسى و ما خلف صفراء و لابيضاء الا سبعين درهم فضلت من عطائه، أراد أن يتباع بها خادما لأهله.

و شعر سبط الرسول بالعبرة تخنقه و لم يعد يستطع الكلام فاجهش بالبكاء و انفجر الحاضرون يبكون العزة و الكرامة و الانسانية و شهدت تلك اللحظات جداول من الدموع...دموع المؤمنين الذين ادركوا حجم الخسارة، و استأنف سبط النبى خطابه فأعلن للعالم عزمه و ارادته و ابعاد شخصيته و رسالته!

-..أيهاالناس! من عرفنى فقد عرفنى، و من لم يعرفنى فأنا الحسن بن على، و أنا ابن النبى، و أنا ابن الوصى، و أنا ابن البشير النذير، و أنا ابن الداعى الى الله باذنه، و أنا ابن السراج المنير، و أنا من اهل البيت الذى كان جبريل ينزل الينا، و يصعد من عندنا، و أنا من

[صفحه ۱۷۲]

أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجل و طهرهم تطهيرا، و أنا من أهل بيت افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال تبارك و تعالى لنبيه: (قل لاأسألكم عليه أجرا الاالمودة فى القربى و من يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت و كان هذا الخطاب دعوة رائعة لبيعته من أجل مواصلة الطريق..طريق المقاومة و تحقيق العدالة الانسانية.و نهض الصحابى قيس بن سعد فكان أول انسان يبايعه فانبرى الى الحسن قائلا:

-«ابسط يدك ابايعك على كتاب الله و سنة نبيه و قتال المحلين».

فرد الامام بأدب الانبياء:

- على كتاب الله و سنة نبيه فأنهما يأتيان على كل شرط.

و أدرك قيس أحقيقة ابن النبى و أن كتاب الله و سنة رسوله الكريم هما السراج الذى يضىء الطريق لمن يبحث عن الحقيقة.

و ربما خطر فى تلك اللحظة على ذهن الحسن أن مأساة صفين و كارثة التحكيم لم تك لتحصل لولا روح التمرد التى نفذت فى أعماق شعبه و عدم احترامهم لقائدهم، لهذا أراد أن يرسخ روح الطاعة فى نفوس شعبه فكان يواجه حشود المبايعين بقوله:

- و تبايون على السمع و الطاعة، تحاربون من حاربت و تسالمون من سالمت.

و من المؤسف أن قطاعات واسعة ممن صنعت مأساة

[صفحه ۱۷۳]

التحكيم و بعدها حادثة النهروان ما تزال اسيرة النظرة السطحية للأمور فكانت تتعجل الحرب مع معاوية للانتقام.

و كانت خيبة الأمل أنهم رأوا انسانا لايريد أن يصغى لعنادهم و لايثق بعقولهم و لاينقاد لارادتهم.

و عندما رأى الخوارج ان الحسين هو الآخر لايتسجيب لمطالبهم عادوا الى الحسن فبايعوه على مضض، و هكذا حصل أول تصدع فى

الثقة بین القائد و جنوده.

وانها لمحنة حقیقیة أن یجد الحسن نفسه مسؤولا عن قیادة حرکة المقاومة و صیانة المجتمع الاسلامی و حمایة کرامة الانسان و الدفاع عن القرآن، ثم یلتفت لیری أن جنوده لیسوا سوی خوارج یحقدون علیه و علی أبیه و سوی الأشراف من أصحاب الثراء و هؤلاء بدأوا ینظرون الی مصالحهم فلا یجدونها تتحق الا بالتفاهم مع معاویة و بنی أمیة، أما بسطاء الناس فهم لایعرفون سوی الطاعة لزعیم القبیلة.

ان انصار الحسن الحقیقین کانوا عدة قلیلة لایمکنها أن تقف فی مواجهة العاصفة..و فی مثل هذه الظروف نهض ابن الانبیاء یواجه الشیطان.

و کان أول شیء فعله الخلیفة الجدید أعلانه موقفه و رسالته و کنا هدفه الاسمی و حدة الامة و صیانة دینها من جمیع الاخطار، و کان الخطر الذی یهددها هو استمرار التمرد فی اقلیم الشام.

[صفحه ۱۷۴]

وقد حاول الامام الحسن التعامل مع مشکلة الشام بروح جدیدة فدعا الوالی المتمرد الی انهاء تمرده و ایقاف نزف الدم و الحفاظ علی وحدة المجتمع الاسلامی.

أما فی جبهته التی لاتبعث علی التفاؤل فقد أمر علیه‌السلام بمضاعفه مرتبات القوة العسکریة التی سیناط بها مسؤولیة الدفاع عن الشرعیة.

مبادرة السلام

و بعث الخلیفة الذی بایعة معظم اقالیم الدولة الاسلامیة برسالة الی معاویة تضمنت دعوة الی الاسلام من خلال انهاء التمرد و الطاعة للشرعیة کما فلسف فیها الامام مشروعیة خلافته [۱۶۱] .

و کان معاویة قد تلقی انباء مبایعة الامام بالقلق و عصفت به الهواجس..هواجس المواجهة و تجسدت للحظة أمام عینه مشاهد من معارک صفین الضاریه و سرت الرعدة فی نفسه و هو یستعید منظر العیون العراقیة وراء المغافر و هی ترسل شرر المقاومة و الاستبسال [۱۶۲] .

و کان ابنه یزید یلاعب قرده «أبی قبیس فقال له: مالک یا أبی

[صفحه ۱۷۵]

اراک یعصف بک القلق قال معاویة و قد اراد أن یجره الی عمل سیاسی بعیدا عن قردته و کلابه و صقوره.

انه الحسن و الناس یعرفون حقه فهو ابن رسول‌الله.

قال یزید و قد قاتلت من قبل أباه فنصرک الله علیه.

و ارتاح معاویة الی هذا الغباء لکنه أراد أن یطلع ابنه علی الحقیقة فقال: یا بنی ان الحق حقهم [۱۶۳] و هو سید المسلمین علیه‌السلام و مضی یزید الذی تأفف من حدیث والده مضی یلاعب قرده و ظل معاویة اقدا یدیه وراء ظهره یفکر و یفکر فیما عسی أن یفعل انه لن یستطیع أن یستمر بذریعة الطلب بدم عثمان..لقد انتهی دور قمیص عثمان و علیه أن یفکر بوسیلة أخری.

غمغم معاویة فی نفسه و هو یذرع بلاط قصر الکبیر ان عمرو بن العاص یعرف العراقیین لقد مزقهم بمکیدة و أحدث فی جبهها علی

انشقاقا و فتقا لارتق له عشرون ألف أو يزيدون هددوا عليا بالقتل اذا لم يوقف الحرب، ثم جاءت النهروان لتزيد الطين بلة..ان الكوفة لم تعد ما هى بالأمس انها ممزقة..

فلم لايرسل جواسيسه و عيونه تستطلع آخر الأخبار، سيما و أنه يستطيع مراسلة شخصيات عديدة من زعماء الكوفة فيها عروض بالتحالف معه ضدالحسن ان شخصيات مثل: شبث بن

[صفحه ۱۷۶]

ربعى، شمر بن ذى‌الجوشن، عمر بن سعد، حجار بن ابجر، قيس بن الاشعث، عمرو بن حريث، عروة بن قيس و أسماء بن خارجة، يمن شراؤها بسهولة، كما أن الخوارج و ان كانوا يعادون معاوية فأنهم لن ينسوا ثأرهم فى النهروان و لن يكتفوا باغتياله عليا و سيثبون بالحسن فى أول فرصة...انهم خطر يهدد الكوفة من داخل حصوها و مع كل ذلك فانه سيكون حذرا جدا فى صراعه مع العهد الجديد و لن يقوم بأية خطوة حتى يحصل على معلومات اكيدة و لذا قام بارسال جاسوسين أحدهما الى البصرة و الآخر الى الكوفة لانشاء شبكة تحيطه بما يجرى فى العراق.

فى أواخر نيسان سنة ۶۶۱ م القى القبض جاسوسين خطيرين كانت مهمتهما نقل الأخبار و الاتصال ببعض الزعماء فى الكوفة و البصرة و تمت ادانتهما واعدما على الفور.

و قد ارسل الامام الحسن رسالة الى معاولة بهذه المناسبة يحذره فيها من التآمر. [۱۶۴] .

كما تلقى معاوية رسالة مماثلة من حاكم البصرة عبدالله بن عباس [۱۶۵] كما و أرسل عبدالله بن عباس رسالة الى الامام الحسن يطلب فيما منه اجراء تغييرات أساسية على سياسة والده و الافادة

[صفحه ۱۷۷]

الى حد ما من سياسات معاوية من قبيل شراء بعض الضمائر على أساس ان الغالية اسامية تبرر الوسيلة [۱۶۶] ! و تعد هذه الرسالة وثيقة تكشف عن المستوبات الخطيرة التى وصلت الأوضاع فى العراق و الانقلاب فى الكثير من المعايير الأخلاقية و تراجع القيم الانسانية.

و لم يورد التاريخ ان الامام الحسن ارسل رسالة جوابية الى واليه على البصرة غير ان الايام كشفت عن شخصية الحسن التى لاتعرف التساوم و السحق على المبادى فكانت مواقفه سلسلة من الاباء و الشعور بالمسؤولية و التضحية التى وصلت ذورتها فى تجاوز اعتبارات الذات و المجد الشخصى.

عودة الى الوراء

و ينظر الامام الحسن الى الافق فيراه مكفهرا لايبشر بخير فيلتفت الى الماضى لانه يدرك ان مجتمعه المعاصر يحصد ما قد زرعه بالأمس الجيل الذى يوشك على الرحيل.

كان يدرك ان عاصفة الاطماع و التهافت على الدنيا قد بدأ هبوبها منذ أيام عمر بن الخطاب، فقد فتحت حركة الفتوح الأبواب على مصاريعها و تألفت كنوز الذهب و الفضة و الجواهر و المزارع

[صفحه ۱۷۸]

الخضراء الفسیحهٔ..آه ما أحلی الرخاء فی هذه الدنیا العریضهٔ [۱۶۷] .

و بدأت مظاهر الترف تظهر علی ملامح الناس الذین کانوا بالأمس یربطون حجر المجاعهٔ علی بطونهم، و کانت مآدب الطعام تحفل بکل مالذ و طاب. [۱۶۸] .

و بدأ بعض الصحابهٔ یثرون ثراء فاحشا و یطمعون للمزید انه لاینسی الزبیر الذی یمتلک الأراضی و المزارع الواسعهٔ فی العراق و الحجاز و مصر و کان عنده من العبید ألف عبد و أمهٔ یعملون فی مزارعه الواسعهٔ، أما أمواله فبلغت فی مجموعها ۰۰۰ / ۰۰۰ / ۳۵، أما طلحهٔ فقد بلغ معدل أرباحه الصافیهٔ التی ترد من العراق ۱۰۰۰ درهم یومیا.

و رأی الحسن کیف نهض هذان الصحابیان ضد والده الذی کان یحیا حیاهٔ دون مستوی خط الفقر بکثیر و کان همه نشر العدالهٔ و اعادهٔ الامهٔ الی هویتها الحقیقیهٔ أو أعادهٔ الهویهٔ الاسلامیهٔ الی الأمهٔ.

رأی عبدالرحمن بن عوف یدفع الخلافهٔ الی عثمان علی أمل أن یعیدها الیه ذات یوم..عبدالرحمن ذلک الصحابی ثم التاجر البسیط ثم الثری الکبیر! الذی یوجد فی اسطبله مئهٔ فرس و له

[صفحه ۱۷۹]

ألف بعیر و عشرهٔ آلاف شاهٔ من الغنم [۱۶۹] ثم خلف بعد وفاته من الذهب ما کسر بالفؤوس حتی مجلت أیدی الرجال [۱۷۰] و ازدادت حدهٔ التهافت علی الدنیا بعد أن رأی الناس خلیفتهم عثمان سباقا فی هذا المجال.

و اصبحت ثروهٔ عثمان بین للهٔ و ضحاها الملایین من الدنانیر و الدراهم و کان عنده جیش من العبید یبلغ الألف عبدو ترک وراءه من الأبل آلاف و قطعان من الغنم.

و انتقلت ثقافهٔ حب الدنیا الی الولاهٔ و الحکام علی الاقالیم فکان معاویهٔ أولهم و أکثرهم جشعا و طمعا و انفتحت شهیته علی اقتطاع المزید المزید حتی بدأ یرنو الی الخلافهٔ و امتلاک کل الأرض الاسلامیهٔ بلادا و عبادا!

و فی عهد عثمان انتشرت ظاهرهٔ الترف التی عادهٔ ما تقود الی ممارسات تتنافی مع الدین فبدأ بعض الناس یلعبون القمار و یحتسون کؤوس الخمر [۱۷۱] .

و تفاقم نفوذ الأمویین و ظهر اعداء الاسلام القدامی فاصبحوا هم الحکام فی الاقالیم و الولایات، و قد مارس الولاهٔ من بنی أمیهٔ

[صفحه ۱۸۰]

صنوف الظلم «الاضطهاد و التمییز العنصری و القبلی» [۱۷۲] .

و کانت لمعاویهٔ حصهٔ الأسد من الولایات فقد ضم الیه عثمان جمیع الولایات السوریهٔ فاصبحت الشام کلها فی قبضته. [۱۷۳] .

و کان مروان عدو النبی صلی الله علیه وآله وسلم بمثابهٔ الخلیفهٔ الفعلی الذی یمارس نفوذه المطلق فی مصیر الامهٔ و مقدرات البلاد الاسلامیهٔ و کانت نظرته الی أموال الأمهٔ باعتبارها ملکا للخلیفهٔ الاموی عثمان و أن الخلافهٔ ملک خالص للامویین لاینافسهم فیه أحد. [۱۷۴] .

فکانت ایرادات سوق المدینهٔ تذهب مباشرهٔ الی جیب الحکم بن ابی‌العاص، و کانت الجوائز والهبات تنهال علی أقارب عثمان کالمطر حتی اضطر خازن بیت المال الی تقدیم استقالته بعد أن أعلن فی المسجد أه خازن للمسلمین ولیس لعثمان و عشیرهٔ عثمان

[۱۷۵] ، و فی عهد عثمان و خاصة فی السنوات الأخیرة ظهرت ملامح الحرمان علی کثیر من الأسر الفقیرة بعد التغیر الذی طرأ علی نظام جمع الزکاة. [۱۷۶] .

و قد أدت سیاسة عثمان الی تفاقم التململ لیس فی المدینة

[صفحه ۱۸۱]

وحدها بل و فی کثیر من الاقالیم الاسلامیة و فی طلیعتها مصر و الکوفة والبصرة.

و عندما تفاقم الوضع و اصبح الجو فی المدینة المنورة ینذر بالانفجار الوشیک استنجد عثمان بالامام علی الذی لم یتردد فی الوساطة بین الجماهیر الغاضبة.و اسفرت جهود الامام عن خروج عثمان علی الامة معتذرا تائبا و وقف أمام الناس هاتفا: «استغفر الله عما فعلت و أتوب الیه فمثلی نزع و تاب» [۱۷۷] .

غیر أن مروان الذی احتل مرکزا مرموقا فی الجهاز الحکومی قد احبط خطوة الخلیفة الذی خانته الشجاعة فی اتخاذ أی موقف حازم أزاء صهره المنحط، و ادرک الامام علی الا جدوی من وراء عثمان الذی اضحی العوبة فی ید مروان او «سیفه» علی حد تعبیر علیه‌السلام و هکذا بدأت الاحداث تتسارع بشکل مخیف نحو الانفجار الذی وصل ذروته فی اقتحام قصر عثمان و قتله.

و قد خلقت الثورة و ما نجم عنها أوضاعا فی غایة الحساسیة و الخطورة و أدت الی تفاقم حدة الصراع بین التیار الذی یدعو الی العدالة فی التوزیع و التصرف بالثروة و بین تیار حقق امتیازات واسعة خلال العهود السابقة و بالتحدید منذ تنفیذ الخلیفة الثانی سیاسته المالئة التی تنهض علی التمییز.

[صفحه ۱۸۲]

و کانت معرکة الجمل بالرغم من کل الشعارات التی رفعها الناکثون و حملتهم الدعائیة کانت أول اصطدام عنیف بین التیارین: تیار الدعاة الی العدالة الاجتماعیة و من خلفهم رجال القبائل العراقیین (الکوفة) و بین الاثریاء الطموحین و الخائفین علی مصالحهم من رجل العهد الجدید الذی عرفت عنه عدالته و عدم تساهله.

و قد ذکرنا المبررات التی دفعت الاما علی علیه‌السلام الی اتخاذ الکوفة عاصمة جدیدة لمواجهة الخطر القادم الذی یتجلی فی وجود اقلیم واسع ثری خاضع لسیاسة هدفة و برنامج دقیق ألا و هو اقلیم الشام بقیادة معاویة ابی‌سفیان.

و مع أن أغلب المهاجرین و الانصار وقفوا الی جانب علی علیه‌السلام ألا أن قیام شریحه منهم بالاعتزال قد ترک آثار سیئة علی مدی السنوات القادمة و هؤلاء هم الذین وصفهم الامام علیه‌السلام بأنهم خذلوا الحق و لم ینصروا الباطل و خلال فترة و جیزیة نسبیا تبلورت جبهتان قویتان عبرعنهما عقیل فی مجلس معاویة عندما ضحک و سئل عن السبب الذی أضحکه فقال: «اضحک انی کنت انظر اصحاب علی یوم أتیته، فلم أر معه الا ـ المهاجرین و الانصار و ابناءهم، و التفت الساعة فلم أر معه الا ـ المهاجرین و الانصار و ابناءهم، و التفت الساعة فلم أر الا ابناء الطلقاء و بقایا الأحزاب» [۱۷۸] .

[صفحه ۱۸۳]

و یجب الاعتراف أن الظروف العامة کانت تسیر لصالح معاویة فقد التحق بمعسکره کل من یرید الدنیا و کانت الدنیا تخطف البابهم،

فما أن يلوح معاويـة لأحـدهم حتى يأتيه و كان الرجل ذكيا فى اسـتخدام جميع الوسائل المتاحة و الوعود المعسولة، فيما كانت الروح الدينية تتراجع يوما بعد آخر أمام الأطماع و الطموحات.

و جاءت معركة صـفين لتضع العالم الاسـلامى أمام خطر التمزق و كان الامام على عليه‌السـلام حساسا ازاء أى حركة انفصالية، فعندما عرض عليه معاوية انهاء التمرد مقابل موافقة على على استقلاله باقليم الشام رفض الامام على مدركا خطر هذه النزعة الانفصالية سياسيا و اجتماعيا.

و قـد خدمت الظروف معاوية كما ذكرنا فقد كان سـكان الشام أكثر تماسـكا و تضامنا من سـكان العراق و هذا يعود الى تحضـر أهل الشام و اسـتقرارهم فى أرض خصـبة و سياسة معاوية فى استرضاء زعمائهم اضافة الدعاية القوية لاجهزة معاوية التى تطرح الأخير أمينا على الوحى و كاتب الرسول و خال المؤمنين، فيما كانت النزعات القبليـة فى العراق تهدد وحدتهم و قد ظهرت النعرة القبلية فى مسألة التحكيم لتزيـد من محنـة الامـام على الـذى وجـد نفسه مضـطرا للتنـازل لآرائهم التافهـة فى اختيار أبى موسـى الاشـعرى ممثلا عنه فى المفاوضات مع عمرو بن العاص و لك أن تكتشف

[صفحه ۱۸۴]

النتيجة فى جلوس ثعلب ماكر مع حمار و يكون مصير العالم الاسلامى متوقفا على نتيجة التفاوض!

ثم حصـل انهيـار آخر فى جبهـة العراق عنـدما ظهر تيـار الخوارج عنيفا مـدمرا يهـدد كل الثوابت و كانت النهروان جرحا آخر يضاف للنزف العام.

و رأى على عليه‌السـلام نفسه فى عام أربعين للهجرة وحيدا لكنه لم ييأس فقام بآخر خطوة عندما القى خطابا حماسيا دفع بأربعين ألف عراقى الى مبايعته على الموت غير أن القدر عاجله بقيام شقى معتوه باغتياله و هو يؤدى صلاة الفجر.

ان سـقوط على فى محرابه مضـرجا بـدمائه يـدل على بشاعة الظروف التى عاشـها ذلك القائد الذى رفع لواء العدالة و الانسانية عاليا و عاش حياة الزهد من أجل اعادة المجتمع الاسلامى الى مساره الصحيح و تصحيح حركة التاريخ.

و لهذا سنجد نجله الحسن ينظر بحذر الى مجتمعه الذى اغتال أباه، ذلك ان اغتيال على هو فى كل الحسابات عدوان صارخ على كل القيم الاخلاقية و الانسانية ناهيك عن القيم الاسلامية.

صفير العاصفة

تأكد معاوية بان جبهة العراق تعانى من التمزق الشديد و وصلت أخبار كثيرة فى هذا المضمار، حتى يكاد المرء يسمع دوى

[صفحه ۱۸۵]

الانهيارات، لهذا أرسل على وجه السرعة رسالة تتضمن انذارا نهائيا [۱۷۹] .

و مع تدهور الظروف فقد رد الامام بحز بما جعل معاوية يعيد ترتيب بعض الحسابات. [۱۸۰] .

فقـد أعلن معاويـة الحرب و حشد جيشا جرارا جاوز الستين ألف جندى مجهز بمختلف أنواع السـلاح اضافة الى انضـباطه التام، ثم قام بـاجراء ذكى و هو اعلانـه أيضـا رغبته فى السـلام و يبـدو أن معاويـة كان متيقنا من تمزق الجبهـة العراقيـة فتقـدم بقواته نحو الحـدود العراقية واثقا كل الثقة من كسب المعركة. [۱۸۱] .

و وصلت أنباء الزحف الی الکوفهٔ فأمر الامام بحشد الجماهیر فی المسجد لألقاء خطاب هام، و من علی أعواد منبر علی انطلقت صیحهٔ الجهاد و المقاومهٔ: «أما بعد..فان الله کتب الجهاد علی خلقه و سماه کرها.

ثم قال لأهل الجهاد: اصبروا ان الله مع الصابرین، فلستم ایهاالناس نائلین ما تحبون الا بالصبر علی ما تکرهون، انه بلغنی ان معاویهٔ بلغه انا کنا ازمعنا علی المسیر الیه فتحرک لذلک، اخرجوا رحمکم الله الی معسکرکم فی النخیلهٔ حتی ننظر

[صفحه ۱۸۶]

و تنظرون، و نری و ترون» [۱۸۲] .

و النخیلهٔ هو المکان الذی تتجمع فیه الحشود العسکریهٔ و یقع علی طریق الشام و لایبعد عن الکوفهٔ کثیرا. [۱۸۳] .

و خیم صمت ثقیل علی الجالسین ینظر بعضه مالی عیون بعض، و قد القی الخوف بظلاله علی الوجوه و انعکس فی انطفاء العیون.

الشائعات قد فعلت فعلها فی النفوس و قد نجح معاویهٔ فی الحاق هزیمهٔ نفسیهٔ ساحقهٔ قبل أن یقرر الزحف صوب العراق، ان طوابیر من جیش معاویهٔ موجودهٔ فی داخل الکوفهٔ فی تلک البیوت المذعورهٔ أو البیوت التی تعصف بهاالاطماع؛ ان الکوفهٔ مهددهٔ من داخلها.

و عندما رأی عدی بن حاتم الطائی هذا المشهد القال انبری أمام الجماهیر و هتف بحماس و بسالهٔ: «أنا عدی بن حاتم! سبحان الله! ما أقبح هذا المقام!! ألا تجیبون امامکم و ابن بنت نبیکم؟ أین خطباء المصر الذین السنتهم کالمخاریق فی الدعهٔ، فاذا جد الجد راوغوا کالثعالب، أما تخافون مقت الله؟ ثم التفت الی القائد العالم یعلن امتثاله للأوامر، و أعلن

[صفحه ۱۸۷]

استجابته الفوریهٔ و امتطی حصانه متجها نحو النخیلهٔ بعد أن أوصی غلامه أن یلحقه بما یحتاج و کان هذا الصحابی البطل أول من عسکر فی النخیلهٔ [۱۸۴] .

و قد بعث هذا الموقف و موقف رجال آخرین الحماس فی نفوس الکثیرین کما أمر الامام بعض الخطباء الحماسیین بالقیام بحملهٔ تعبویهٔ لتعبئهٔ الرأی العام من أجل مقاومهٔ العدوان القادم.

أما هو علیه‌السلام فقد قرر التحرک نحو النخیلهٔ بنفسه لنقل المعرکهٔ بعیدا عن الکوفهٔ فی ظروف تتطلب التحام عسکری سیاسی لخوض حرب مصیریهٔ.

و خلال عشرهٔ أیام بلیالیها لم یلتحق بالامام سوی أربعهٔ ألاف فعاد الی الکوفهٔ لتدارک الأوضاع ثم عاد سریعا الی النخیلهٔ فغادرها الی دیر عبدالرحمن و أنتظر بها ثلاثهٔ أیام ریثما یلتحق به المتخلفون من الجنود.

وکانت الاحداث تتلاحق بسرعهٔ و جیوش الشام تتقدم صوب الاراضی العراقیهٔ، وکاجراء فوری رأی سیدنا الحسن علیه‌السلام ارسال نخبهٔ من قواته لوقف الزحف الشامی و حمایهٔ الاراضی الخصبهٔ و الزراعیهٔ من السقوط فی قبضهٔ معاویهٔ.

و فی تلک اللیلهٔ الدامهٔ اجتمع الامام الحسن بهیئهٔ أرکان

[صفحه ۱۸۸]

حربه و منهم عبیدالله بن العباس حاکم الیمن و قیس بن سعد وسعید بن قیس.

و بعد حدیث طویل قام الامام:

-«یا بن العم! انی باعث معک أثنیعشر ألفا من فرسان العرب و قرأ المصر، الرجل منهم یزید الکتیبة، فسر بهم و ألن لهم جانبک و ابسط لهم وجهک، و افرش لهم جناحک، و ادنهم من مجلسک، فافهم بقیة ثقات أمیرالمؤمنین، و سر بهم علی شط الفرات، ثم امض حتی تستقبل بهم معاویة، فان لقیته فاحتبسه حتی آتیک فانی علی أثرک و شیکا، و لیکن خبرک عندی کل یوم، و شاور هذین [۱۸۵] و اذا لقیت معاویة فلا تقاتله حتی یقاتلک، فان فعل فقاتله، و ان أصبت فقیس بن سعد علی الناس، فان اصیب فسعید بن قیس علی الناس» [۱۸۶] .

و فی فجر الیوم التالی تحرکت طلائع جیش الامام بقیادة عبیدالله و التی بلغ قوامها اثنیعشر ألف مقاتل.

و لزمت القوات الزاحفة شطان الفرات و هی تواصل تقدمها فتوقفت فی «سینور» ثم فی «شاهی» ثم «الفلوجة» ان وصلت «مسکن» فاستقرت فی «القربة الجنوبیة» ازاء مسکن و هناک

[صفحه ۱۸۹]

اصبح الجیشان وجها لوجه.

و کانت اللیالی التی مرت علی جیش الطلیعة مترعة بالحذر و الترقب و هواجس الخوف فقد مرت أیام و أیام و لیس هناک من خبر ینبیء بوصول الامدادات العسکریة انهم یواجهون جیشا جرار بتمیع بالانضباط الکامل و انظر عبیدالله الی معسکره فرأی نماذج من الفوضی و التمزق بل رأی بعض الخوارج ممن لایری وقارا للخلیفة و لایری حرمة لاخوانه من الجنود...وانبعث سؤال رهیب فی أعماقه کیف یتنسی له أن یواجه معاویة بهذه الحفنة...

و ما زاد فی غیظ القائد العسکری قیام بعض الجنود بالتسلل لیلا نحو معسکر العدو.

اذن فهذه الاشباح التی تمرق بین الخیام فی قلب الظلام انها هی رسل معاویة تحمل معسول الوعود و تحمل جرار الذهب فالضمائر تجارة اذن...بیع و شراء.

آه ان معاویة یستخدم بریق اذهب لیعمی البصائر و الابصار!!

و فی المعسکر الآخر حیث تجثم قوات الشام کان الجنود یصغون بدهشة الی قهقهات معاویة تشق صمت اللیل الی ساعة متأخرة.قلیلون جدا یعرفون سر تلک الصحکات الرنانة..أکوام من الرسائل القادمة من الکوفة و من معسکر النخلیة...رسائل من شخصیات قبلیة معروفة کلها تساوم معاویة و تعلن استعدادها

[صفحه ۱۹۰]

الکامل فی اغتیال الحسن أو خطفه و تسلیمه أسیرا.رسائل من شبعث بن ربعی، شمر بن ذیالجوشن، حجار بن ابجر قیس بن الاشعث و آخرین و کان ما یثیر دهشته أن کثیرا من الرسائل قد وصل من اشخاص مغمورین لایعرفهم أحد..ان حمی هذه التجارة قد وصلت الی درجة رهیبة لاتصدق!

و بدأت شائعات لایعرف مصدرها أحد تأخذ طریقها الی خیام المعسکر العراقی تتحدث عن رسائل متبادلة بین معاویة و الحسن حول الصلح و السلام. [۱۸۷] .

و كانت خيمـة القيادة على رابيـة تتيـح للقائد عبيدالله أن يشـرف على قواته و أن يرى عن بعد معسـكر العدو المتربص، و اختلى القائد الى نفسه بعد منتصف الليل و قد جثم صمت رهيب فوق المكان و حاول ان يخدع نفسه حول صحة الشائعات، و لكنه يعرف جيدا أن الحسن ليس من الرجال الـذين يساومون، و لكن فشل التعبئة العسـكرية فى الكوفة و تراجع حماس الجماهير و رغبتهم فى السـلام بأى ثمن قـد جعله يتميز غيظـأ من القـدر الـذى ساقه ليكون على رأس جيش ممزق نفسـيا.و هناك على مرمى البصـر كانت مشاعل الفرق الشامية تومض من بعيد و لم يكن عبيدالله يدرى أن معاوية قد خلا الآخر فى

[صفحه ۱۹۱]

خيمته يخطط..كان معاوية يسـيطر رسالة خطيرة و لم تمض سوى ساعات حتى كانت الرسالة تسقط فى حضن القائد الذى أمضى ليلته ساهرا.

و فض عبيدالله الرسالة التى لم يشك فى أنها من معاوية و راح يغمغم بكلماتها: «ان السن قد راسـلنى فى الصلح، و هو مسلم الأمر الى فـان دخلت فى طـاعتى الآن كنت متبوعا، و الا دخلت و أنت تابع، و لك ان اجبتنى الآن أن أعطيك ألف ألف درهم أعجل لك فى هذا الوقت نصفها، واذا دخلت الكوفة النصف الآخر» [۱۸۸] .

صر القائـد على أصـنانه: اللعنـة انه يعرف مآزق أعدائه و يعرف كيف يسـتغلها...و يعرف أيضا أن سـفالة الانسان لا حضـيض لها و أن أقوم الناس خلقا وانقاهم سلوكا قد تجره الاطماع و يذله الحرص فى واحدة من لحظات الضعف البشرى.

آه ان معاوية خبير فى النفس الانسانية يعرف الكثير الكثير مما يموج فى ذات البشر.

و اشـتعلت فى اعماقه مشاهـد كثيرة لكنها كانت جميعا تخبو أمام وهـج الذهب الذى سـيقدمه له معاوية...حتى مشـهد ابنيه الصـغيرين اللذين ذبحهما بسر بن ارطاة فى غارته على اليمن و حتى مشهد زوجته التى جنت بسبب تلك الجريمة فهامت على

[صفحه ۱۹۲]

نفسها فى الازقة و الشوارع تندب ولديها.

حتى مجده العسكرى و كرامته كقائد تضاءلا أمام اغراء معاوية.

تصاعـدت حـدة الوساوس فى صـدره ليته قـدم اسـتقالته قبل وصول الرسالة انه يجد نفسه شـباك معاوية لايسـتطيع الخلاص أن مئات الآلاف من الدراهم ليست بالأمر الذى يمكن تجاوزه بسهولة.

و تمر ساعات الليل و كات خيمة القائد الذى اختلى بنفسه تشهد صراعا فريدا.

و فى مطلع الفجر كان عبيدالله قد اسـتحال الى كائن آخر لقد صـرع فى داخله الانسان..اسـتحال الى جثة تتحرك...انه يرنو ببصـره الى معسكر العدو و يخطط لفكرة الهروب...ان من يتأمل عينيه فى تلك اللحظات لا بد و أن يرى فى عمقها بريق الخيانة و وهج الاطماع و الغدر و سيجد أيضا انطفاء الانسانية بكل معانيها النبيلة.

و ما أن حل المساء حتى سرت همسات لها مدلول واحد ان القائد يفكر باللجوء الى معاوية.

و كان عبيدالله قد أبلغ المقربين اليه ممن يشاركونه فى طريقة تفكيره و نظرته الى احياة قد ابلغهم بقراره الخطير.

وتحت جنح الظلام شهدت قرية «الجنوبية» اكبر خيانة فى

[صفحه ۱۹۳]

التاریخ العسکری فقد تخلی عبیدالله لکل قیم الفروسیة و الشهامة و الشرف الانسانی.

و قبل مطلع الفجر وصل عدد الفازین من المعسکر الی ثمانیة آلاف جندی.

و هکذا فضل القائد الدخول فی معسکر معاویة ذلیلا خانعا مجللا بالعار فاحتقرته الاجیال و التاریخ فلم یعد یذکر الا فی قائمة الخونة، فمات قبل أن یموت و قد کان فی موقع یؤهله للخلود و المجد.

و کانت الخطوة التی قام بها القائد المتخاذل الذی باع مجده العسکری و کرامته بحفنة من الدراهم، بدایة النهایة فی الجبهة العراقیة بعد أن استیقظ الجنود الذین تناقص عددهم الی اربعة آلاف جندی فلم یجدوا قائدهم کما لم یجدوا الآلاف من اخوانهم و عندما اکتشفوا حقیقة ما جری اسقط فی ایدیهم و شعروا بمرارة الهزیمة قبل خوض المعرکة.

و فی هذه الاجواء التی تنذر بالخطر و الانهیار بادر الصحابی البطل قیس بن سعد الی تحمل مسؤولیته التاریخیة فی ظرف عاصف فالقی خطابا ملتهبا فی جنوده لایقاف حالة التصدع و الانهیار. [۱۸۹] .

و فی هذه الاجواء التی تنذر بالخطر و الانهیار بادر الصحابی البطل قیس بن سعد الی تحمل مسؤولیته التاریخیة فی ظرف عاصف فالقی خطابا ملتهبا فی جنوده لایقاف حالة التصدع و الانهیار. [۱۹۰] .

[صفحه ۱۹۴]

ریاح الهزیمة

کان الامام الحسن علیه‌السلام قد وصل المدائن عندما وصلته انباء الکارثة فی رسالة القائد قیس بن سعد و قد جاء فیها: «انهم نازلوا معاویة بقریة یقال لها: «الجنوبیة» بازاء «مسکن» و ان معاویة ارسل الی عبیدالله بن العباس یرغبه فی المصیر الیه، و ضمن له ألف ألف درهم.یعجل لها منها النصف، و یعطیه النصف الآخر عند دخوله الکوفة.فانسل عبیدالله فی اللیل، الی معسکر معاویة فی خاصته، و اصبح الناس قد فقدوا أمیرهم، فصلی بهم قیس بن سعد و نظر فی أمورهم» [۱۹۱] .

و هکذا وصلت هزات الزلزال الی المدائن، و بکی بعضهم لوقع هذه الخیانة العظمی فیما راح آخرون یتندرون بان عبیدالله عندما هرب الی معسکر حمل معه رایة الجیش. [۱۹۲] .

و استمر معاویة یرسل سهام الاغراء فیصیب بها من یشاء و وصل به الأمر أن عرض بناته علی بعض الشخصیات التی لاتصغی لوعود الذهب و الفضة أو وعود المناصب العسکریة، کما لم ینس أن یهدد بعضهم بالانتقام اذا لم یتحالف معه الآن قبل اقتحام الکوفة بجنود لا قبل لهم بها.

[صفحه ۱۹۵]

و قام معاویة بخطوة تنضح نذالة عندما زور رسالة باسم قیس بن سعد تفید بانه علی استعداد لمصالحة معاویة [۱۹۳] .

و لم یعد أحد یکذب الشائعات و الاخبار الکاذبة بعد ما تحقق الجمیع من فعلة عبیدالله المشینة.

و قد فتکت تلک الأخبار و الشائعات و مزقت فی صفوف القوات المرابطة فی مسکن و المدائن و اصبحت الجبهة العراقیة العوبة بید

معاوية فتارة يبث خبرا فى المدائن حول مقتل قيس بن سعد ويحثهم على الاشتباك الفورى [۱۹۴] .

و أخرى ينشر خبرا كاذبا فى «مسكن» حول مصالحة الحسن لمعاوية. [۱۹۵] .

و لأول مرة شعرالامام الحسن بالخطر على الكوفة من عملية اجتياح يقوم بها معاوية فى هذه الظروف العاصفة، ان وحدة الامة الاسلامية فى خطر كبير اذا ما استمرت الأوضاع سائرة فى هذا الاتجاه، ذلك أن اصرار بضعة مئات على مواجهة معاوية حتى النفس الأخير يعنى تدفق عشرات الآلاف من جنود الشام الذين يضمرون احقادا دفينة منذ صفين ضد العراقيين و اذا ما قدر لهم اقتحام الكوفة فلن يتورعوا عن انتهاك الحرمات و قتل العشرات من

[صفحه ۱۹۶]

صحابة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ان معاوية قد أعمته شهوة الحكم والسلطان و الملك و لم يعد يرى شيئا فى طريقه..سوف يدوس على كل المقدسات فى سبيل تحقيق أهدافه و طموحاته و أطماعه.

و كان على الحسن أن يفكر فى عواقب الأمور...انه يرى فى الأفق نذرا لاتبشر الا بوقوع مجزرة كبرى يعقبها شرخ هائل فى نسيج الأمة و قد تسر الأحداث عن ردة عنيفة عن الاسلام الحنيف و عودة الناس الى عصور الجاهلية المظلمة.

فاذا كانت الكوفة ترغب فى السلام بأى ثمن بعد كل هذه الحروب الطاحنة كما ان الاخطار الاجنبية تهدد الدولة الاسلامية و العدو الكافر يتربص بالمسلمين الدوائر و ينتظر الفرصة السانحة فلماذا هذا التقاتل من أجل حكم دنيوى و سلطان زائل؟!

و اضاءت فى ذاكرة السبط كلمات جده الراحل يوم قال أمام الملأ من أصحابه: ان ابنى هذا سيد و لعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» [۱۹۶] .

و فيما كانت الشائعات تمزق الجبهة العراقية فى مسكن و المدائن قام معاوية بخطوة ذكية عندما ارسل و فدا يتألف من الداهية المعروف المغيرة بن شعبة و عبدالله بن عامر و عبدالرحمن

[صفحه ۱۹۷]

بن الحكم، و كان عبدالله بن عامر قد قام بحركة يهدف من ورائها تحطيم معنويات العراقيين فقاد مجموعة من فرسانه و أطلق تحذيرا يستبطين التهديد و يظهر حرصه على السلام.

عندما صاح: يا أهل العراق! انى لم أر القتال، و انما أنا مقدمة معاوية و قد وافى الانبار فى جموع أهل الشام، فاقرؤا أبا محمد عنى السلام و قولوا له: «أنشدك الله فى نفسك و أنفس هذه الجماعة التى معك».

و ها هو الآن يأتى ضمن وفد للتفاوض، و يجتمع الرجال الثلاثة بالامام و لم يذكر التاريخ عما دار فى خيمة الخليفة الشرعى، و لكن أعضاء الوفد و هم يغادرون يقومون بحركة ذكية و هى بثهم بن صفوف الجيش العراقى كلمات اشد من وقع السهام المسمومة و الخناجر الغادرة قائلين: «ان الله قد حقن الدماء بابن بنت رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم و قد اجابنا الى الصلح».

و يبدو أن الأجواء كانت تشجع على تصديق أية شائعة خاصة حول فكرة الصلح و السلام ذلك ان قطاعات واسعة كانت ترغب فى السلام و لكل مبرراته فقطاع من الناس قد مل من الحروب و كوارثها الاجتماعية بعد نتج عنها حتى الآن الآف اليتامى و الأرامل و القتلى و المعوقين، لقد كانت الحرب بالأمس مصدر للغنائم و الرخاء الاقتصادى أما اليوم فقد أصبحت مصدرا للبؤس و الشقاء كما ان

جراح الحرب الأهلیة أشد ألما من جراح الحروب

[صفحه ۱۹۸]

فی حرکة الفتوح!

و تلقف العراقیون هـذه الشائعة کما لو أنها حقیقة واقعة و بدأ بعضـهم یتمیز غیظا فیصـر علی أسـنانه و هو یقول: «لقد کفر الحسن کما کفر أبوه».

و صاح أحدهم بوقاحة: أشرکت یا حسن کما أشرک أبوک من قبل».

و کانت عیون بعض الخوارج تبرق بالحقد و الکراهیة و صمم بعضهم علی أغتیاله فی أول فرصة ممکنة.

و أراد الامام الحسن اختبار ولاء الجیش و تماسکه فأمر بحشد الجمیع للصلاة، و وقف القائد خطیبا فانسابت کلماته معبرة:

- «الحمد لله کلما حمده حامد، و أشـهد أن لا اله الا الله، کلما شـهد له شاهد و أشـهد أن محمدا عبده و رسوله، أرسله بالحق و ائتمنه علی وحیه.أما بعد فانی و الله لأرجو أن أکون قد أصبحت بحمد الله و منه و أنا أنصح خلق الله لخلقه، و ما أصبحت متحملا علی مسلم ضغینـة و لامریـدا له بسوء، و لاغائلـة و ان ما تکرهون فی الجماعـة خیر لکم مما تحبون فی الفرقـة ألا و انی ناظر لکم خیر من نظرکم لأنفسکم فلاتخالفوا أمری و لاتردوا علی رأیی، غفر الله لی و لکم و ارشدنی و ایاکم خلما فیه المحبة والرضا».

و تصاعدت کلمات مسمومة من جنبات المکان:

[صفحه ۱۹۹]

- ماذا یعنی بقوله؟

- انه یرید مصالحة معاویة و تسلیم الخلافة الیه.

- لقد کفر اذن.

- انه یستحق الموت.

و عنـدما وقف الامام للصـلاة اذا بسـهم غادر ینطلق من مکان ما و لکن السـهم یسـقط لأن الامام الحسن قـد احتاط بارتداء درع تحت ثیابه..لقد کان الامام یدری بان هناک من یخطط لاغتیاله بعد ما وعد معاویة الکثیرین بجوائز مغریة..

و حاول أحاهم فیما بعد طعنه بخنجر أثناء الصلاة. [۱۹۷] .

و بعد أن تعددت محاولات الاغتیال استدعی الامام بعض الزعامات التی یعرف طریقة تفکیرها و قال لهم بعد ان اتضح لدیه غباؤهم:

- «ویلکم، والله ان معاویـة لایفی لأحـد منکم بما ضـمنه فی قتلی و انی أظن ان وضـعت یـدی فی یـده فأسالمه لم یترکنی أدین بدین جدی، و انی اقدر أن أعبد الله عزوجل وحدی..

ثم اردف و کأنه یقرأ صفحات الغد القادم:

- «و لکن کأنی أنظر الی أبنائکم واقفین علی أبواب ابنائهم یستسقونهم و یستطعمونهم بما جعل الله لهم فلایسقون و لا

[صفحه ۲۰۰]

يطعمون، فبعدا و سحقا لما كسبته أيديهم و سيلعم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون».

ان سرعة الانهيار و التمزق لم تبق لأحد أذنا صاغية و أصبح العراقيون أمة مبعثرة ممزقة تعصف بهم الريح من كل مكان».

و حز فى قلب الحسن أن يرى الباطل جبهة متماسكة قوية ثم يلتفت الى جبهته فيراها خاوية على عروشها، و لم تكن هذه المحنة وليدة اليوم انما تعود الى مهزلة التحكيم و ربما أبعد من ذلك بكثير الى تلك السقيفة التى أفرزت ثقافة جديدة فى الحكم غير ثقافة يوم الغدير الخالد.

و رأى الامام الحسن أن خيار الحرب فى هذه الفترة سيكون مغامرة عسكرية متهورة و ستفضى الى نتائج و خيمة لايعرف مداها التخريبى الا الله عزوجل.

و رأى الكوفة فى مهب اعصار فيه نار..اعصار مجنون مترع بأحقاد قديمة ربما تعود الى بدر و أحد و حنين، لقد ظهر أعداء الاسلام القدامى من الطلقاء و أبناء الطلقاء ليثأورا من رسالة الاسلامى التى قضت على امتيازاتهم.

و حاول الامام أن يبين لكل من يستاءل عن سياسته و فلسفة مواقفه ازاء الحرب و السلام فأمر مرة أخرى بالاجتماع للصلاة فوقف خطيبا فى الجموع قائلا:

...والله ما يثنينا عن أهل الشام شك و لاندم، و انما كنا نقاتل

[صفحه ۲۰۱]

أهل الشام بالسلامة و الصبر، فشيبت السلامة بالعداوة و الصبر بالجزع، و كنتم فى مسيركم الى صفين و دينكم أما دنياكم، و أصبحتم اليوم و دنياكم أمام دينكم، ألا و قد اصبحتم بين قتيلين قتيل بصفين تبكون عليه و قتيل بالنهروان تطلبون بثأره، و أما الباقى فخاذل».

ان أمر محنة تواجه القائد عندما يرى الطابور الخامس يتضخم حتى لم يعد بمقدور أحد أن يعرف حدوده انه موجود فى كل مكان من الكوفة بل و فى العراق بأسره..

لقد أطلعه الوفد على رسائل خطيرة من زعماء الكوفة و رؤساء بعض القبائل و كلها تعرض على معاوية «السمع و الطاعة و يتبرعون له بالمواعيد، و يتخذون عنه الايادى، و يستحثونه على المسير نحوهم، و يضمنون له تسليم الحسن عند دنوهم من عسكره أو الفتك به» [۱۹۸].

لقد تمعن فى خطوط الرسائل و تأكد من تواقيع اصحابها، ان الظروف لاتسمح له بفضح هذه المؤامرات الدنيئة ولذا أعرض عن كل ذلك ليخاطب شعبه بكل ما فيه من عناصر الانحطاط ويضعهم أمام الحقيقة وجها لوجه؛ ان العراق يقف أمام امتحان صعب كالذى وقفه بصفين قبل أعوام فقل لهم بكل أمانة و أخلاص:

[صفحه ۲۰۲]

-«ألا و ان معاوية دعانا لأمر ليس فيه عزو لانصفة فان أردتم الموت، رددناه عليه و حاكمناه بظبات السيوف، و ان اردتم الحياة قبلنا و أخذناه بالرضا».

و تمر اللحظات مصيرية وانعكست فى عيون الحاضرين الرغبة فى الحياة بأى ثمن و لذا ارتفعت الاصوات من كل مكان:

- «البقية..البقية» [۱۹۹].

و هكذا اتضح للكثيرين بالرغم من وجود بعض المتحمسين للحرب انه لايمكن مواجهة جيش الشام المنظم بقوات مهزومة نفسيا و انه

لاأمل بالنصر أبدا بل لاأمل بالدفاع عن الكوفة.

و أحدث الخوارج الفوضى فى المعسكر خاصة و أنهم يرون اسنباحة كل من يخالفهم فى أفكارهم و حصلت حوادث نهب بل وصلت الفوضى درجة مهدت للبع الهجوم على الامام؛ فاستدعى الامام قبيلة «همدان» و «ربيعة» و أحدق به رجال من القبلتين لحمايته من أية عملية اغتيال.

و رأى الامام أن يغادر المكان خاصة و أن هناك من يخطط لاغتياله أو خطفه و تسليمه الى معاويشة ليقتله أسيرا أو يطلق سراحه و فى كل هذا العار الذى ليس فوقه عار و الهزيمة المرة.

و فى منعطف تكثر فيه الاشجار انطلقت صيحة غادرة و اذا

[صفحه ۲۰۳]

أحد الخوارج يهاجم الامام لاغتياله [۲۰۰] .

و جرح الامام جرحا بليغا فنقل الامام الى المقصورة البيضاء للمعالجة.

هل أصاب الكوف مس من الجنون بالأمس اغتالوا أباه و اليوم ارادوا اغتياله ان المعايير قد تغيرت و لاشک، ان الكوفة تنسلخ عن هويتها انها تبيع دينها من أجل دنياها و هى لاتدرى انها تفعل ذلک من أجل دنيا الآخرين و سوف تكتشف هذه الحقيقة المرة بعد فوات الأوان.

و غمرت الحيرة الجموع فى المدائن، لايعرف فيها المرء عدوة من صديقه و سادت حالة اللاحرب و اللاسلام.

و دخل رجل جهنى على الامام و هو يعانى من آلام الطعنة الغادرة قال له:

- يابن رسول‌الله! ان الناس متحيرون.

فقال الامام بمرارة قائد يحارب بلاجنود:

- و الله أرى معاوية خيرا لى...هؤلاء يزعمون أنهم لى شيعة ابتغوا قتلى و انتهبوا ثقلى و أخذوا مالى، و الله لئن آخذ من معاوية عهدا أحقن به دمى و آمن به على أهلى و شيعتى خير لى من أن يقتلونى فيضيع أهل بيتى».

[صفحه ۲۰۴]

لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقى حتى يدفعونى اليه سلما..

و الله لئن اسالمه و أنا عزيز أحب من أن يقتلنى و أنا أسير أو يمن على فتكون سبه على بنى‌هاشم الى آخر الدهر..».

و ادرک الجهنى معاناة الامام الذى وجد نفسه وحيدا كربان فى سفينة سكر ملاحوها أو غرقوا فى سبات عميق فيما الامواج المجنونة تهاجمها بعنف.

الخيار رقم صفر

و ارسل الامام سفيرين لاستماع عروض معاوية فى السلام و يبدو ان سبط النبى صلى الله عليه وآله وسلم اختار رجلين أحدهما يمثله و عو عمرو بن سلمة الهمدانى فهذه القبيلة و قفت الى جانب الشرعية عن ولاء للمبادىء أما الآخر فكان يمثل بشكل عام الروح العامة للكوفة فى تلک الايام و هو محمد بن الاشعث الكندى؛ جنوح نحو الحياة المادية، و المنافع السطحية، و بعد مفاوضات قام بها وفود

متبادلة وقع الطرفان على وثيقة السلام التى تضمنت بنودا اساسية:

۱- يقوم الامام الحسن بن على بالتنازل عن الحكم الصالح معاوية بن أبى‌سفيان على أن يلزتم الأخير بالعمل بالقرآن الكريم و سنة النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم و سيرة الخلفاء الصالحين.

۲- ليس من حق معاومية أن يعهد بالخلافة الى أحد بعده بل يكون الأمر شورى بين المسلمين.

[صفحه ۲۰۵]

۳- الأمن و العفو العام و عدم ملاحقة الأفراد بسبب مواقف سابقة.

۴- يتعهد معاوية بعدم التآمر على الامام الحسن و أخيه الحسين و الا يخيف أحدا من أهل البيت عليهم السلام [۲۰۱] .

و بعد توقيع اتفاقية السلام بدأ الامام يستعد للعودة الى النخيلة و منها الى الكوفة، و كان معاوية الذى اصبح خليفة عاما بقوة الحديد و النار هو الآخر يستعد لدخول الكوفة دخول الفاتحين.

و تفجرت ازمة جديدة عندما وصلت الانباء المدمرة الى قيس بن سعد الذى ظل ساهرا حتى الصباح يفكر فيما عساه أن يفعل؟

أن من أصعب الأمور فى حياة الأحرار رؤيتهم انتصار الباطل و غلبته و تراجع الحق، و لهذا خطب فى جنوده فى ذلك الصباح الكئيب يحيطهم لما بالكارثة فهتف بحزن مرير:

- اختاروا احدى اثنتين: اما قتال بغير امام، و امام أن تبايعوا بيعة ضلال!

و فى فورة الحماس الذى غمر الجنود علت هتافات ملتهبة:

-«بل نقاتل».

و كان على معاوية أن يعالج الموقف المتفجر قبل أن يتحرك نحو النخيلة و من ثم الاستعداد لدخول الكوفة رسميا.

[صفحه ۲۰۶]

و لذا أرسل الى قيس على وجه السرعة رسالة تضمنت سؤالا وحيدا؟

«على طاعة من تقاتل؟ و قد بايعنى الذى أعطيته طاعتك»

و أرفق بالرسالة ورقة بيضاء لشروطه..

و واجه قيس لحظات مزلزلة أن روحه تأبى الاستسلام و لكن عقله الآن يضعه أمام حقيقة مرة أن مواجهة معاوية تعنى الانتحار و ادرك حينئذ مرارة الامام الحسن و هو يضطر الى الصلح.

و بعد معركة داخل الاعماق المضطرمة بالثورة انتصر العقل المضىء و امسك قيس بريشته ليسطر شرطا وحيدا: الأمن لجنوده.

و عندما طالبه معاوية بالبيعة رفض قيس قائلا: لقد عاهدت الله الا ألقى معاوية الا و بيننا الرمح و السيف.

و لم يتأخر معاوية فى التحرك صوب النخيلة، فتحرك و قد حفت به كتائب من جيشه تضم مسلمين و مسيحيين، و انسحبت القوات المرابطة فى المدائن و مسكن، و فى النخيلة حيث اللقاء التاريخى بين الامام الحسن و معاوية تقابلا وجها لوجه و انتهز معاوية الفرصة و طالب قيس باللقاء و البيعة و لكن قيس كرر رفضه معلنا: لا والله لاتلقانى الا و بينى و بينك السيف و الرمح، و ابتسم معاوية ابتسامة مكر و أمر باحضار سيف و رمح ثم وجه اليه من يدعوه و يخبره.

[صفحه ۲۰۷]

و اردک قیس ان معاویة لن یترکه حتی یبایع، فوافق علی الحضور.

و کانت لحظات عصیبة عندما کان قیس یتجه صوب خیمة معاویة الوضیع الذی اصبح بین لیلة وضحاها حاکما علی الامة الاسلامیة، و اصطف العراقیون ینظرون الی قائد الطلیعة مقهورا فسمعوه یردد کلمات الأسی و التأنیب: استبدلتم الذل من العز و الکفر من الایمان فاصبحتم بعد ولایة أمیرالمؤمنین و سید المسلمین کسره معاویة عندما هتف بصفاقة:

- أتبایع یا قیس؟

والتفت قیس صوب سیدة و قائده بالأمس و قال بصوت خافت یقطر حزنا.

- أفی حل أنا من بیعتک؟

فأجاب سبط آخر الانبیاء؟

- نعم.

و أطرق قیس بعد أن بسط کفه فوق فخذه فقفز معاویة من علی سریره یمسح بیده فیما اعتصم قیس بالصمت، وقد دهش الحرس الشامی لاباء و شجاعة أنصارالحسن.

الکوفة تنتظر و ان کان لکل اسبابه الخاصة به فهذه أمرأة

[صفحه ۲۰۸]

تترقب عودة زوجها و تلک أم تنتظر عودة ابنها و أطفال خرجوا الی أطراف المدینة یتطلعون الی عودة آبائهم، و قد خیم حزن غامض منذ أن وصلت انباء التوقیع علی السلام حتی أولئک الذین ناصروا معاویة فی فترة الصراع عجزوا عن أصفاء مسحة الفرح علی المدینة بالرغم من الضوضاء التی أحدثوها لاستقبال معاویة الظافر و المنتصر.

أجل الکوفة فی حالة من الحزن و قد یری المرء فیها ابتسامة الشامت فالخوارج و ان کانوا یمقتون معاویة لکنه لم یخفوا شماتتهم بأهل البیت بعد انتصار عدوهم اللدود، و لذا نری بعضهم یحاول اظهار نقمته علی الحسن و یحمله مسؤولیة ما حصل، و فی غمرة کل ذلک لایعدم أن یری تفاؤلا من الناس البسطاء بعودة السلام الی البلاد التی ارهقتها حروب أهلیة مدمرة، و السلام یتعبه رخاء و الرخاء هدف انسانی و حلم جمیل.

ولذا هبت الکوفة بأسره لتستمع الی خطاب معاویة التاریخی الذی سیلقیه من فوق منبر علی!

و دخلت کتائب الشام و رأی الاطفال لأول مرة الوجوه الشقر التی تختلف عن وجوه آبائهم السمراء.وافتتح معاویة عهد بأن جلس علی المنبر لیسجل أول مخالفة لسنة النبی صلی الله علیه وآله وسلم و ثقافة الاسلام التی تلزم الخطیب بالوقوف. [۲۰۲] .

[صفحه ۲۰۹]

و قد أهمل التاریخ فیما یبدو خطابه فسجل الفقرات الهامة فیه:

-أما بعد فانه لم تختلف أمة بعد نبیها الا غلب باطلها حقها، و انتبه معاویة الی فلتته فاردف علی الفور:

- «الا هذه الأمة، فان حقها غلب باطلها.

وكشر معاوية عن أنيابه ليظهر على حقيقته و هتف:

- يا أهل الكوفة أترونني قاتلتكم على الصلاة و الزكاة و الحج و قد علمت أنكم تصلون و تزكون و تحجون! لكنى قاتلتكم لاتأمر عليكم و قد آتانى الله ذلك و أنتم كارهون.

ألا و ان كل دم أصيب فى هذه الفتنة مطلول، و كل شرط شرطته فتحت قدمى هاتين! و قد رآنى أهلا للخلافة و لم ير نفسه فسلم الامر الى!! و لايصلح الناس الا ثلاث اخراج العطاء عند محله، و اقفال الجنود لوقتها و غزو العدو فى داره، فان لم تغزوهم غزوكم.

و لم يترك معاوية هذه الفرصة فنال من على و نجله الحسن. [۲۰۳] .

و تحلى الامام الحسن بالصبر و اعتصم بالصمت تاركا أهل الكوفة يكتشفون حقيقة الانسان الذى خدعوا به....أجل سوف

[صفحه ۲۱۰]

يكتشفون ذلك و لو بعد حين..

و كان عمرو بن العصا يراقب و فسر صمت الامام بانه ضعف بسبب ما يعانيه من مرارة الهزيمة فاقترح على معاوية أن يطلب من الحسن القاء خطابه بهذه المناسبة ليتخذ الصلح صفة رسمية لدى الأمة، و كان معاوية يتوجس خيفة من خطاب الامام البليغ و لكن عمرو اقنعه بان الهزيمة التى حلت به صوف تعقد لسانه و انه ليس لديه ما يقوله فى هكذا مناسبة!

و نهض الامام باتجاه منبره و منبر والده بالأمس فاعتلى درجاته ليقف شامخا وسط الجوع و قد شع وجهه بنور سماوى و نطق فاذا كلماته ترن فى سمع التاريخ و ذاكرة الاجيال.

- «ايها الناس ان الله هداكم بأولنا وحقن دماكم بآخرنا، و ان لهذا الأمر مدة، و الدنيا دول.

قال الله عزوجل لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: (ان أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول و يعلم ما تكتمون و ان أدرى لعله فتنة لكم و متاع الى حين)

و انفجر البركان بركان الحقيقة فوق المنبر المقهور:

- و ان معاوية زعم لكم انى رأيته للخلافة أهلا و لم أر نفسى أهلا فكذب معاوية.

نحن أولى الناس بالناس فى كتاب الله عزوجل و على لسان نبيه.

[صفحه ۲۱۱]

و لم نزل - أهل البيت - مظلومين منذ قبض الله نبيه، فالله بيننا و بين من ظلمنا، و توثب على رقابنا، و حمل الناس علينا، و منعنا سهمنا من الفىء، و منع أمنا ما جعل لها رسول‌الله، و أقسم بالله لو أن الناس بايعوا أبى حين فارقهم رسول‌الله، لاعطتهم السماء قطرها و الأرض بركتها و لما طمعت فيها يا معاوية.فلما خرجت من معدنها، و تنازعتها قريش بينها فطمع فى الطلقاء و أبناء الطلقاء، أنت و أصحابك، و قد قال رسول‌الله: ما ولت أمة أمرها رجلا و فيهم من هو أعلم منه، الا لم يزل أمرهم يذهب سفالا حتى يرجعوا الى ما تركوا.

فقد ترك بنو اسرائيل هارون و هم يعلمون انه خليفة موسى فيهم، و اتبعوا السامرى، و تركت هذه الأمة أبى و بايعوا غيره و قد سمعوا رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول له: انت منى بمنزلة هارون من موسى الا النبوة، و قد رأوا رسول‌الله نصب أبى يوم غديرخم، و أمرهم أن يبلغ أمره الشاهد الغائب.

و هرب رسول‌الله من قومه و هو يدعوهم الى الله، حتى دخل الغار، و لو وجد أعوانا لما هرب.

کف أبی یده حین ناشدهم و استغاث فلم یغث، فجعل الله هارون فی سعة حین استضعفوه و کادوا یقتلونه، و جعل الله النبی فی سعة حین دخل الغار و لم یجد أعوانا.

و کذلک أبی و أنا فی سعة من الله حین خذلتنا هذه الأمة،

[صفحه ۲۱۲]

و انما هی السنن و الامثال یتبع بعضها بعضا».

ما یزال الصمت مهیمنا..أی انسان هو الحسن أی قائد وحید یعلن بصوت هار ادانة لعصره الذی خذله فی قضیته العادلة.

وقف التاریخ مشدوها یسجل کلماته الخالدة التی تعبر عن حقیقة مقهورة محاصرة:

- «فو الذی بعث محمدا بالحق، لا ینتقص من حقنا - أهل البیت - أحد الا نقصه الله من عمله، و لاتکون علینا دولة الا و تکون لنا العاقبة و لتعلمن نبأه بعد حین».

البرکان ما یزال یواصل ثورته و قد بدأت حممه تتساقط فوق معاویة الذی تضاءل حتی أصبح جرذا مذعورا انه الآن وجها لوجه أما نجل سید البلاغة فی تاریخ العرب:

- ایها الذاکر علیا! أنا الحسن و أبی علی، و أنت معاویة و أبوک صخر، و أمی فاطمة و أمک هند، و جدی رسول‌الله و جدک عتبة بن ربیعة، و جدتی خدیجة و جدتک فتیلة؛ فلعن الله أخملنا ذکرا، و الأمنا حسبا و شرنا قدیما و حدیثا، و أقدمنا کفرا و نفاقا».

و حدث مالم یتوقعه أحد عندما علت هتافات مجلجلة:

- آمین..آمین..آمین.

و خیل لبعض الحاضرین انه سمع أصوات آمین ترددها الملائکة و الناس أجمعون بل و قوافل الاجیال عبر التاریخ...

[صفحه ۲۱۳]

أجل، آمین أیها القائد المقهور انم تنازلک عن حقک و من أجل الحفاظ علی وحدة أمة جدک و من أجل حمایة الناس الطیبین فی المدینة التی خذلت یعد ادانة صارخة لعصرک.أو ادانة لکل الذین خذلوک و الذین باعوک بثمن بخس دراهم معدودة....

أجل آمین یا سیدی یا سبط آخر الانبیاء فی تاریخ الانسان سوف تعض الکوفة أصابع الندم حین اکتشفتک و حین اکتشفت حقیقة عدوک..و ستدفع ثمن ذلک ندما طویلا.و قفل الامام عائدا الی منزله یستعد للرحیل و العودة الی مدینة جده النبی صلی الله علیه وآله وسلم.

و بدأت مشاعر الذل تخامر الکثیرین من سکان الکوفة عندما رأوا مدینتهم اشبه بالمدن المحتلة و هی التی کانت بطلة الفتوح أکثر من ثلاثین سنة ثم اصبحت عاصمة الاسلام خمس سنین و ما تزال خطب علی تملأ فضاء الکوفة و قد یمتد صداها عبر الزمان الی ما شاء الله.

لماذا یا سبط النبی

ترکت خطوة الامام الحسن مرارة فی قلوب المؤمنین صحابة و تابعین خاصة لدی الذین یعرفون حقیقة معاویة و یستشرفون سیاسته المعادیة لمبادیء الدین و الانسانیة، و قد سجل التاریخ النزر القلیل من حوار الامام مع اولئک الزعماء

[صفحه ۲۱۴]

الابطال الذين كانوا يرفضون الظلم و يأبون حياة الذل، و كان من الطبيعى أن تبقى حواراتهم جزء من الاسرار الخطيرة التى كانت تكلفهم ثمنا غاليا أقله حياته الشخصية، فكان حجر بن عدى مثالا فى وعى الكارثة التى حلت بالعالم الاسلامى، و لذا نراه يقول للامام بمرارة و لوعة: «أما و الله لوددت أنك متن فى ذلك اليوم و متنا معك و لم نر هذا اليوم».

فقال له السبط: ليس كل انسان يحب ما تحب، و لا رأيه كرأيك و انى لم أفعل الا ابقاء عليكم و الله تعالى كل يوم هو فى شأن» [۲۰۴].

و يقول السبط فى جوابه لعدى بن حاتم الطائى:

- «يا عدى! انى رأيت هوى معظم الناس فى الصلح، و كرهوا الحرب فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فرأيت دفع هذه الحروب الى يوم ما فان الله كل يوم فى شأن».

و يقول لآخر: انى خشيت أن يجتث المسلمون عن وجه الأرض، فأردت ان يكون للدين ناعى».

و يقول لأحد زعماء الشيعة فى الكوفة (بشير الهمدانى):

- «ما أردت بمصالحتى الا أن أدفع عنكم القتل» [۲۰۵].

[صفحه ۲۱۵]

و يبدو أن بعضهم و قد رأى الحسين حزينا يعتصره الألم لهذه النهاية الفجعية التى ألمت بالاسلام فرأى فيها اعتراضا على خطوة أخيه فى أمضاء السلام و ربما عرض بعضهم عليه فكرة قيادة الشيعة ضد معاوية و لكنه رفضها على الفوز لنفس المبررات التى دفعت أخاه و شقيقه الى السلام الذى يبدو للوهلة الأولى هزيمة و لكنه فى لغة الصراع مجرد انسحاب و تراجع أملته ظروف قاهرة.

و قبل الرحيل بأيام دخلت على الامام الحسن اثنان من رجالات على و من الذين وقفوا الى جانبه فى محنته فقال الامام بعد حديث:

- «الحمد لله الغالب على أمره، لو أجمع الخلق جميعا على ان لايكون ما هو كائن ما استطاعوا».

أجل لقد كان ما حصل قدرا من أقدرا هذه الامة التى وقفت فى صفين مترددة فى الاختيار...الاختيار الحتم بين على و معاوية بين مبادىء الاسلام، و الانتهازية، و لكنها ارتكبت خطأ فادحا و مصيريا فى مأساة التحكيم.

و أعرب أحدهما و هو المسيب بن نجبة الفزارى عن عميق حبه لأهل البيت فقال الحسين:

- يا مسيب نحن نعلم أنك تحبنا.

و قال الحسن مبشرا اياه:

[صفحه ۲۱۶]

- سمعت رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أحب قوما كان معهم».

و طلب المسيب من الامام البقاء فى الكوفة فاعتذر له الامام قائلا:

- «ليس الى ذلك من سبيل» [۲۰۶].

وداعا أرض السواد

و فی صبیحة یوم كئیب انتظمت قافلة أهل البیت تودع الكوفة.

و خرجت شرائح واسعة من سكان المدینة التی خلعت زی العواصم تودع خلیفة الأمس و الرجل الذی ضحی بمجده الذاتی من أجل السلام و الأمن.

فلقد كان بتمكانه و هو یملك خزائن الدولة أن یرشی هذا و یشتری ذاك و ینفق من أجل الحرب كما فعل خصمه [۲۰۷] و لكنه آثر السلام و أن یسلم الزعامة السیاسیة الی من تكالبوا علیها و نجحوا فی اغواء أمة بأسرها، فسلم الحكم لیبنی عرشه فی قلوب الأحرار و أصحاب المبادیء...عرفوا كل ذلك فی اللحظة التی جلس فیها معاویة علی منبر علی و قال: قاتلتكم لأتأمر علیكم و عرفوا ذلك

[صفحه ۲۱۷]

عندما سمعوه یعلن بوقاحة أنه سیضع كل شروط السلام تحت قدمیه.وها هو الآن یغدر، فیطلب من أهل الكوفة الاستعداد لخوض الحروب مع الخوارج و شهدت الكوفة منذ ذلك التاریخ أول تمزق فی النسیج الأخلاقی بعد أن ظهر للعیان التمزق فی المشارب الفكریة بین صفوف القوات التی تحشدت فی مسكن و فی المدائن فبینا نجد مجامیع تشعق آل النبی صلی الله علیه وآله وسلم و تدین بالولاء لهم نجد آخرین ینظرون الیهم كما لو كانوا كفرة مشركین، و قد شجع الانتهازیون و ذوو الطموح التیار الثانی من أجل تحقیق المزید من أهوائهم و أطماعهم، و سوف نجد ان هذا النسیج یستمر فی التمزق الی أن ظهر بصورته البشعة فی عاشوراء سنة ۶۱ ه عندما نری الانتهازین بالأمس و قد أصبحوا قادة عسكریین لتنفیذ مجزرة ما عرف التاریخ لها نظیرا.

و دفع سكان الكوفة بعد عشرین سنة ثمن أخطائهم الاستراتیجیة التی ارتكبوا یحق أهل البیت علیهم السلام.

و ما لنا نستبق الأحداث قبل وقوعها و نحن الآن فی مطلع ربیع الثانی من سنة ۴۱ ه حیث یستعد الامام الحسن للعودة الی مدینة جده الراحل.

و وسط آهات الناس الطیبین و دموع المخلصین انسابت القافلة لتغادر عاصمة علی، و فكر بعضهم بالهجرة الی المدینة المنورة ان الكوفة لم تعد وطنا لهم بعد أن غادرها القلب النابض

[صفحه ۲۱۸]

بالحب و السلام.

و مضت القافلة تطوی الفلاة الممتدة حتی اذا وصلت دیرا [۲۰۸] بـد من بعید التفت الامام صوب الكوفة و لم یذكر غدرها و تخاذلها انما ذكر اصدقاءه المخلصین من الذین وقفوا الی جانبه فی كل فصول الصراع فجاشت العاطفة الانسانیة فی أعماقه و قال بأسی:

و لان عن قلی فارقت دار معاشری

هم المانعون حوزتی و ذماری

و داعا أرض السواد..و داعا اصدقاء المحنة و داعا یا عاصمة الثورة و التحدی.

یوما سیولد جیل جدید...جیل یکتشف الحقیقهٔ، و سیبحث عن علی من أجل العودهٔ الی صفین و استئنائف الصراع من أجل تصحیح المسار.مسارالحضارهٔ الاسلامیهٔ.

و أنت أیها السید، ستبحث عنک المدن الخائفهٔ..المدن الوحیدهٔ کما تهددها طوفان الحرب و الدمار...و کلما لاحت فی الأفق حمامات الدم..و داعا أیها السید یا صوت السلام الذی همدت له طبول الحرب..

ربما تهیمن اصوات المدافع حینا من الزمن و لکن البقاء لخریر الجداول...لذلک الصوت الهادیء الرقیق.

[صفحه ۲۱۹]

و داعا سوف تکتشف الاجیال و ستدرک مجدک...

یوما ما یعرف العالم حجم تضحیتک..ان ثروات الشرق الأوسط کلها لاتغتال توازنک...روح اسمی لأنها جذوهٔ من روح محمد...محمد الذی تجلی من خلاله ناموس الوجود.

ان جیلک الذی اختار معاویهٔ هو الذی یتحمل مسؤولیته أما التأریخ و الحضارهٔ.دعهم أیها السید یمدون أیدیهم الی الشجرهٔ المعلونهٔ.

شجرهٔ ظلالها ظلال و لمات و طلعها کأنه رؤوس الشیاطین....

دعهم یجنون ثمارها المرهٔ..

سوف تشهد الأجیال القادمهٔ من رحم الأیامی علی مجدک...

لأنه مجد الانسان الذی صاغه أبوک محمد...وداعا یا سیدی...

هذه باقهٔ ورد أقدمها بین یدیک...و سلام علیک فی العالمین.

[صفحه ۲۲۳]

ملحقات

النص الکامل لرسالهٔ الامام الحسن الی معاویهٔ

«من الحسن بن علی أمیرالمؤمنین، الی معاویهٔ بن أبی‌سفیان، سلام علیک فانی أحمد الیک الله الذی لا الیه الا هو.أما بعد فان الله جل جلاله بعث محمدا رحمهٔ للعالمین، و منهٔ للؤمنین، و کافهٔ للناس أجمعین (لینذر من کان حیا و یحق القول علی الکافرین) [۲۰۹] فبلغ رسالات الله و قام بأمر الله حتی توفاه الله غیر مقصر و لا ـ وان، و بعد أن أظهر الله به الحق و محق به الشرک، و خص به قریشا خاصهٔ.فقال له: «و انه لذکرک لک و لقومک» فلما توفی تنازعت سلطانه العرب، فقالت قریش: نحن قبیلته و أسرته و أولیاؤه و لایحل لکم أن تنازعونا سلطان محمد و حقه، فرأت العرب أن القول ما قالت قریش و ان

[صفحه ۲۲۴]

الحجهٔ فی ذلک لهم علی من نازعهم أمر محمد، فأنعمت لهم [۲۱۰] و سلمت الیهم ثم حاججنا نحن قریشا بمثل ما حاججت به

العرب فلم تنصفنا قريش انصاف العرب لها، انهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانصاف و الاحتجاج فلما صرنا أهل بيت محمد و أولياءه الى محاججتهم و طلب النصف [۲۱۱] منهم باعدونا، و استولوا بالاجتماع على ظلمنا و مراغمتنا [۲۱۲] و العنت منهم لنا، فالموعد الله و هو الولى النصير.
و لقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا فى حقنا و سلطان بيتنا، و ان كانوا ذوى فضيلة و سابقة فى الاسلام و أمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون و الأحزاب [۲۱۳] فى ذلك مغمزا يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب الى ما أرادوا من افساده، فاليوم فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله.لابفضل فى الدين معروف،

[صفحه ۲۲۵]

و لاأثر فى الاسلام محمود، و أنت ابن حزب من الأحزاب، و ابن أعدى قريش لرسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم و لكتابه، والله حسيبك، فسترد و تعلم لمن عقبى الدار، و بالله لتلقين عن قليل ربك ثم ليجزينك بما قدمت يداك، و ما الله بظلام للعبيد.
ان عليا لما مضى لسبيله - رحمة الله عليه يوم قبض، و يوم من اله عليه بالاسلام و يوم يبعث حيا - و لانى المسلمون بعده، فأسأل الله أن لايؤتينا فى الدنيا لازائلة شيئا ينقصنا به فى الآخرة مما عنده من كرامة، و انما حملنى على الكتاب اليک الاعذار فيما بينى و بين الله عزوجل فى أمرک و لک فى ذلک ان فعلته الحظ الجسيم، و الصلاح للمسلمين فدع التمادى فى الباطل و ادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى، فانک تعلم أنى أحق بهذا الأمر منک عند الله و عند كل أواب [۲۱۴] حفيظ و من له قلب منيب، و اتق الله ودع البغى، و احقن دماء المسلمين، فو الله ما لک خير فى أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به وادخل فى السلم و الطاعة و لاتنازع الأمر أهله و من هو أحق به منک ليطفىء الله النائرة [۲۱۵] بذلک و يجمع الكلمة، و يصلح

[صفحه ۲۲۶]

ذات البين، و ان أنت أبيت الا التمادى فى غيک سرت اليک بالمسلمين فحاكمتک حيت يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين» [۲۱۶].
باقر شريف القرشى: حياة الامام الحسن: ۵۶ -۵۴.

[صفحه ۲۲۷]

مذكرة الامام الحسن

اشاره

اثر ارسال معاوية جواسيسه الى العراق
(أما بعد: فانک دسست الى الرجال، كأنک تحب اللقاء، لاشک فى ذلک فتوقعه ان شاء الله، و بلغنى أنک شمت بما لم يشمت به ذوو الحجى [۲۱۷] و انما مثلک فى ذلک كما قال الأول:

فانا و من قد مات منا لكالذى

يروح فيمسى فى المبيت ليغتدى

فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى

تجهز لأخرى مثلها فكأن قد

جواب معاوية

(أما بعد: فقد وصل كتابك و فهمت ما ذكرت فيه، و لقد علمت بما حدث، فلم أفرح، و لم أحزن، و لم

[صفحه ۲۲۸]

أشمت، و لم آس [۲۱۸] و ان عليا أباك لكما قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة [۲۱۹] .

فأنت الجواد و أنت الذى

اذا ما القلوب ملأن الصدورا

جدير بطعنة يوم اللقا

يضرب منها النساء النحورا

[صفحه ۲۲۹]

و ما مزبد من خليج البحا

ريعلو الاكام و يعلو الجسورا [۲۲۰] .

بأجود منه بما عنده

فيعطى الالوف و يعطى البدورا [۲۲۱] .

باقر شريف القرشي: المصدر السابق: ۴۶ -۵۴.

[صفحه ۲۳۰]

النص الكامل لوثيقة السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا ما صالح عليه الحسن بن على بن أبى‌طالب، معاوية بن أبى‌سفيان، صالحه لعى أن يسلم اليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله، و سنة رسوله، و سيرة الخفاء الصالحين، و ليس لمعاوية بن أبى‌سفيان ان يعهد الى أحد من بعده عهدا، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين، و على ان الناس آمنون حيث كانوا من ارض الله فى شامهم و عراقهم و حجازهم و يمنهم، و على ان اصحاب على و شيعته آمنون على انفسهم و أموالهم و نسائهم و أولادهم، و على معاوية بن أبى‌سفيان بذلك عهد الله و ميثاقه، و ما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء، و بما أعطى الله من نفسه، و على أن لايبغى للحسن بن

[صفحه ۲۳۱]

على، و لالأخيه الحسين، و لالأحد من أهل بيت رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم غائلة سرا و لاجهرا، و لايخيف أحدا منهم فى أفق من الآفاق، شهد عليه فلان ابن فلان بذلك، و كفى بالله شهيدا» [۲۲۲] .

باقر شريف القرشى: المصدر السابق: ۲۲۸ -۲۲۷.

[صفحه ۲۳۲]

رسالة عبدالله بن عباس للامام الحسن

و تتضمن اقتراحات خطيرة تكشف عن حجم التغيرات فى نفسية المجتمع الاسلامى آنذاك:

«أما بعد: فان المسلمين و لوك أمرهم بعد على عليه‌السلام فشمر للحرب و جاهد عدوك و قارب أصحابك، و اشتر من الظنين دينه بما لايثلم لك دنياه [۲۲۳] و ول [۲۲۴] أهل البيوت و الشرف تستصلح به عشائرهم حتى يكون الناس جماعة فان بعض ما يكره الناس ما لم يتعد الحق، و كانت عواقبه تؤدى [۲۲۵] .

الى ظهور العدل و عز الدين خير من كثير مما يحبه الناس اذا كانت عواقبه تداعوا الى ظهور الجور و ذل المؤمنين و عز الفاجرين.

و اقتد بما جاء عن أئمة العدل فقد جاء عنهم أنه لايصلح

[صفحه ۲۳۳]

الكذب الا فى حرب، أو اصلاح بين الناس فان الحرب خدعة [۲۲۶] و لك فى ذلك سعة اذا كنت محاربا ما لم تبطل حقا.

و اعلم أن عليا أباك انما رغب الناس عنه الى معاوية أنه آسى [۲۲۷] بينهم فى الفىء و سوى بينهم فى العطاء، فثقل عليهم، و اعلم أنك تحارب من حارب الله و رسوله فى ابتداء الاسلام حتى ظهر أمر الله.فلما وحد الرب، و محق الشرك و عز الدين أظهروا الايمان و قرؤا القرآن مستهزئين بآياته، و قاموا الى الصلاة و هم كسالى و أدوا الفرائض و هم لها كارهون، فلما رأوا أنه لايعز فى الدين الا

الأتقياء الأبرار توسموا بسيمى الصالحين ليظن المسلمون بهم خيرا فما زالوا بذلک حتى شرکوهم فى أماناتهم و قالوا حسابهم على الله فان کانوا صادقين فاخواننا فى الدين و ان کانوا کاذبين کانو بما ما اقترفوا هم الأخسرين، و قد منيت بأولئک و بأبنائهم و أشباههم، و الله ما زادهم طول العمر الا غيا، و لازادهم ذلک لأهل الدين الا مقتا فجاهدهم و لاترض دنية و لاتقبل خسفا [۲۲۸] فان عليا أباک لم

[صفحه ۲۳۴]

يجب الى الحکومة حتى غلب على أمره فأجاب و انهم يعلمون انه أولى بالأمر ان حکموا بالعدل فلما حکموا بالهدى رجع الى ما کان عليه حتى أتى عليه أجعله و لاتخرجن من حق أنت أولى به حتى يحول الموت دون ذلک و السلام [۲۲۹] .

باقر شريف القرشى: المصدر السابق: ۵۰ -۴۹.

پاورقی

[۱] ياقوت الحموى: معجم البلدان: ۴:۹۴۰ ط دار احياء التراث العربى لبنان ۱۳۹۹ ه.

[۲] تاريخ الطبرى حوادث سنة ۱۷ ه.

[۳] المصدر السابق.

[۴] المصدر نفسه.

[۵] تاريخ طبرى: ۴: ۴۶ - ۴۵ ط دار التراث لبنان.

[۶] البلاذرى فتوح البلدان ط القاهرة ۱۹۳۲ ص ۲۲۷.

[۷] فتوح البلدان: ۵۲۳.

[۸] تاريخ الطبرى حوادث سنة ۳۶ ه.

[۹] کانت البصرة و الکوفة تدعى العراقين.

[۱۰] حوار الامام على مع ابن عباس.

[۱۱] تاريخ اليعقوبى: ۲:۲۰۱.

[۱۲] حياة الامام الحسن: ۱:۶۲ ط دار البلاغة ۱۹۹۳ لبنان.

[۱۳] الشورى: الآية ۲۳: (قل لا أسألکم عليه أجرا الا المودة فى القربى).

[۱۴] الاحزاب: (انما يريد الله ليذهب عنکم الرجس اهل البيت و يطهرکم تطهيرا).

[۱۵] البقرة: الآية ۱۲۰.

[۱۶] نور الابصار: ۱۰۰.

[۱۷] صحيح البخارى من کتاب بدء الخلق، صحيح الترمذى: ۲:۳۰۷.

[۱۸] البداية و النهاية: ۸:۳۵.

[۱۹] کنز العمال: ۷:۱۱۰.

[۲۰] سنن الدارمى: ۱:۴۰.

[۲۱] مسند أحمد: ۲:۴۸۹.

[۲۲] الامامة و السياسية: ۱۲.

[۲۳] شرح ابن أبی الحدید: ۱۹:۲ -۱۳۴:۱.

[۲۴] أبوالنصر استاذ الأدب العربی فی القاهرة: وسائل الشیعة و مستدرکاتها: ۳۱:۱.

[۲۵] توفیق أبوعلم - أهل البیت: ۱۶۶.

[۲۶] تاریخ ابن‌عساکر: ۳۲۱:۴.

[۲۷] فی ذی قار و هو یتأهب للزحف الی البصرة قال الامام لابن عباس ذلک!.

[۲۸] راجع تفسیر الطبری فی تفسیر الآیـة الکریمة: أفمن کان مؤمنا کمن کان فاسـقا.و الاستیعاب لابن عبدالبر: ۶۲:۲ فی تأویل قوله تعالی: (یا أیها الذی امنوا ان جاءکم فاسق بنبا فتبینوا ان تصیبوا قوما بجهالة فتصبحوا علی ما فعلتم نادمین).

[۲۹] طبقات ابن سعد ۲۱:۵.

[۳۰] الامامة و السیاسة: ۱: ۳۷-۳۵.

[۳۱] من یتأمل فی صیغة الکتاب یلمس بوضوح ما یموج فی نفسیة مروان من دمویة و وحشیة.

[۳۲] کان الوفد الذی قد وصل ایلة فی اقصی شمال الحجاز.

[۳۳] نیار بن عیاض.

[۳۴] تحرکت بالفعل جیوش شامیـة بقیادة حبیب بن مسـلمة الفهری و لکنها رابطت فی منطقـة الجرف قریبا من المدینـة، و لم تتقـدم اکثر بأوامر شخصیة من معاویة، و عادت الی دمشق تحمل قمیص عثمان!!.

[۳۵] کان الامام علی علی علم تام باطماع طلحـة السیاسة و قـد کان الأخیر یهیأ نفسه لاسـتلام مقالیـد الخلافة.و قد بلغ من اندفاعه انه صنع لخزائن الدولة مفاتیح جدیدة؛ و ما یؤید هذه النظریة أن أم المؤمنین عائشة، کانت فی مکة عندما و صلتها انباء عن مصرع عثمان فقالت فرحة: بعدا لنعثل (عثمان) و سـحقا ایه ذا الاصبع (طلحة) ایه أیا شبل! ایه ابن عم لله أبوک یا طلحة، فکأنی انظر الی اصبعه و هو یبایع.

[۳۶] هکذا سجل التاریخ تلک اللحظات.

[۳۷] کان طلحة بن عبیدالله أول من بایع و أول من نکث البیعة.

[۳۸] سـتبقی بیعـة الامام علی فریـدة فی تاریخ الاسـلام..فلم تکن فلتة کخلافة ابی‌بکر علی حد تعبیرعمر بن الخطاب نفسه، و لم تکن تعیینا فی حالة اغماء کخلافة عمر..و لم تکن هوی کخلافة عثمان کما عبر عنها عبدالرحمن بن عوف مهندسها الأول.

[۳۹] ان عبـدالله بن عمر الـذی رفض البیعـة لعلی علیه‌السـلام و هو أول من آمن بالرسالـة نراه فیما بعـد یبایع عبدالملک بن مروان فی مشهد مذل فقد جاء الی الحجاج بن یوسف الجلاد المعروف لیبایع؛ و قد احتقره الحجاج و خاطبه بالاذلال:

لم لم تبایع أباتراب؟ و جئت تبایع آخر الناس لعبـد الملک؟! انت احقر من أن امـد الیک یدی...دونک رجلی فبایع..و نری عبدالله بن عمری یهوی علی رجل الحجاج و یبایع علی السمع و الطاعة!!.

[۴۰] کانت الشـعوب العربیـة فی الشـمال الافریقی فی عهد الادراسة و الفاطمیین تحتفل فی یوم ۱۸ ذی‌الحجـة و تعده جزة من الأعیاد الاسلامیة الکبری فهو الیوم الذی کمل فیه الدین و تمت النعمة، ثم نسی شیئا فشیئا و ما یزال اتباع مذهب أهل البیت: یتخذون من یوم الغدیر عیدا فی کل من العراق و ایران و الهند و الباکستان و سوریا و لبنان.

[۴۱] کقوله علیه‌السـلام: «اللهم انی اسـتعدیک علی قریش و من اعـانهم فـانهم قطعوا رحمی و اکفؤوا انـائی، و اجتمعوا علی منازعتی حقا کنت أولی به من غیر و قالوا:

- ألا ان فی الحق أن تأخذه و فی الحق أن تمنعه..فاصبر مغموما أو مت متاسفا.

فنظرت فاذا لیس لی رافد و لاذاب و لامساعد الا أهل بیتی فضـنت بهم عن المنیة، فاغضـیت علی القذی و جرعت ریقی علی الشجا و

صبرت من كظلم الغیظ علی امر من العلقم، و آلم للقلب من و خز الشفار».و المقطع الأخیر یكشف عن عمق الآلام التی تجرعها الامام فی تلك الحقبة من الزمن.

[۴۲] لقد عاش علی انسانا و مات انسانا و لهذا خلدته الانسانیة.

[۴۳] أن فی بقاء مروان بن الحكم حرا طلیقا فی المدینة یكشف عن روح العهد الجدید فی تحمله «الآخر» حتی لو كان نقیضا.

[۴۴] ان المرء لیكاد یصعق و هو یشاهد الزبیر بن العوام بماضیه المشرق مع مروان بن الحكم فی جهة واحدة.

[۴۵] كان الامام علی علیه‌السلام یعمل فی حفر الآبار و العیون قبل الخلافة و استمر بعدها، و لم تغیر الخلافة من حیاته شیئا، و قد أوقفها جمیعا علی الحجاج و المؤمنین، و هذه قائمة باوقافه:

- عین البحر - عین جبیر - عین خفیف لیلی - عین خیف بسطاس - بئر الملك - عیون المدینة - عین ابی‌نیزر - وادی قرعة قریبا من فدك - عین نولا - البغیبغة - أرینة.

[۴۶] یكشف اسلوب الخطاب عن عدم اعترافهم بعلی كأمیر للمؤمنین كما هو الحال فی خطاب الولید بن عقبة.

[۴۷] خشی عمار من أن یلعب الأمویون بزعامة مروان بمشاعرها و جرهما الی تفجیر الوضع مع الامام و هو ما حصل بعد ذلك.

[۴۸] یقول علیه‌السلام: «انهم لیطلبون حقا هم تركوه و دما هم سفكوه..فلئن كنت شریكهم فیه فان لهم لنصیبهم منه، و لئن كانوا ولوه دونی فما التبعه الا عندهم..و ان اعظم حجتهم لعلی انفسهم...یرتضعون اما قد فطمت.. یحیون بدعة قد امیتت..یاخیبة الداعی من دعا! و الام أجیب!!!.

[۴۹] اقترح عبدالله بن عباس علی الامام أن یخرج معه أم‌سلمة زوج النبی صلی الله علیه وآله لتقویة موقفه و لكن الامام رفض ذلك قائلا:

- لاأری اخراجها من بیتها كما رأی الرجلان اخراج عائشة.و كانت أم‌سلمة من أكثر أزواج النبی صلی الله علیه وآله اخلاصا للامام علیه‌السلام: و قد دختل فی جدل مع عائشة حول العواقب الوخیمة التی سترتب علی تمردها و حمایتها للناكثین و اعلانها الحرب.

[۵۰] أبوموسی الأشعری.

[۵۱] بالقرب من انقاض مدینة فارسیة قدیمة و تعرف الیوم بمحلة الزبیر حیث یوجد قبر طلحة.

[۵۲] البیعة التی سبقت صلح الحدیبیة سنة ۶ ه.و تعرف بیعة الشجرة.

[۵۳] سأل رسول‌الله صلی الله علیه وآله الزبیر ذات یوم فی احدی المناسبات: التحب علیا؟ فقال الزبیر: و ما یمنعنی من حبه و هو ابن‌خالی!! فقال النبی صلی الله علیه وآله اما انك سنخرج علیه یوما و انت ظالم.

و كان الامام علی یقول: ما زال الزبیر منا أهل البیت حتی شب ابنه المشؤوم.

[۵۴] و فی هذا خاطب الامام أهل البصرة منتقدا ایاهم: «كنتم جند المرأة و اتباع البهیمة رغا فاجبتهم و عقر فهربتم، اخلاقكم دقاق و عهدكم شقاق و دینكم نفاق و ماؤكم زعاق».

و قد وصل تقدیس بعضهم للجمل أنه كان یشم بعره قائلا: لریح بعره جمل امنا عائشه اطیب من المسك!!.

[۵۵] بدأت المعركة فی منتصف النهار و انتهت قبیل الغروب.

[۵۶] محمد بن أبی‌بكر أمه اسماء بنت عمیس الخثعمیة زوجة جعفر الطیار بمؤتة تزوجها أبوبكر فانجبت له محمدا فتزوجها بعد وفاة أبی‌بكر و كان محمد بومها صغیرا فتربی فی احضان علی علیه‌السلام و كان یقول فیه:

محمد ابنی ولكنه من صلب أبی‌بكر؛ استشهد فی مصر علی أیدی عملاء معاویة و احرق جثمانه.

[۵۷] أغتاله مروان الذی یری أن قاتل عثمان الحقیقی طلحة، و قد اطلق باتجاه سهامه قائلا:

اینما اصابت فتح.

[۵۸] صفوان بالقرب من الحدود الکویتیة.

[۵۹] لاذ مروان بن الحکم بالحسن و الحسین و صفح عنه الامام؛ کما صفح عن عبدالله بن الزبیر بالرغم من شتائم لأخیر للامام قبیل المعرکة.

[۶۰] قال عبدالله بن عباس (رض): دخلت علی أمیرالمؤمنین علیه‌السلام ب (ذی‌قار) – المنطقة التی توقف فیها الامام منتظرا الامدادات الحربیة القادمة من الکوفة – و هو یخصف نعله فقال لی: ما قیمة هذا النعل، فقلت: لاقیمة لها فقال علیه‌السلام: و الله لهی احب لی من امرتکم، الا أن اقیم حقا، أو أدفع باطلا، ثم خرج الامام فخطب فی الحشود العسکریة.

[۶۱] تحول طلحة فی أواخر عمره الی شخصیة عنیفة ترفض الحوار؛ یدل علی ذلک طریقته فی حل الازمة مع عثمان، و حواره مع عمار عقیب تولی الامام مهام الخلافة و توجیه الامام لعبد الله بن عباس عندما بعثه الی زعماء الناکثین و فتح باب الحوار معهم یقول الامام: «لاتلقین طلحة، فانک ان تلقه تجده کالثور عاقصا قرنه؛ یرکب الصعب و یقول هو الذلول..و لکن الق الزبیر فانه الین عریکة فقل له..».

[۶۲] تصغیر عدو.

[۶۳] یجتاحه احساس بالالم و المرارة.

[۶۴] ۱۴ کانون الثانی ۶۵۷ م.

[۶۵] من یتأمل فی نهج‌البلاغة و هو یضم آثار الامام یلمس بوضوح نهج الامام فی محاولة اعادة الروح الی الضمیر المسلم من خلال تجسید سنة النبی صلی الله علیه وآله قولا و عملا.

[۶۶] کتاب الا علی: ۲۰۹.

[۶۷] اجتمع معاویة بأرکان اسرته لتدارس الوضع فاقترح عتبة أخوه علیه استدعاء ابن العاص قائلا: استعن علی امرک بعمرو بن العاص.و کان الأخیر مقیما فی مقاطعاته فی فلسطین.

[۶۸] کان الامام یدرک منذ الأیام الأولی للأزمة أن معاویة انما یطمح للخلافة.

[۶۹] الأخبار الطوال، ص ۱۵۷.

[۷۰] سرعان ما لبی بن العاص دعوة معاویة بل اصبحت الشام ملاذا لکل الطامعین فی دنیا معاویة و الهاربین من وجد العدالة من ارباب السوابق و المجرمین.

[۷۱] وقد صدق حدس الامام اذ عاد الی الکوفة و هو یهول من قدرة أهل الشام و ضخامة قواتهم، و ما لبث جریر أن فر من الکوفة تحت جنح الظلام.

[۷۲] محمد بن حذیفة عتبة بن ربیعة بن عبد شمس بن عبد مناف، صحابی جلیل القدر ولد فی ارض الحبشة فی عهد النبوة، استشهد أبوه فی معارک الیمامة للقضاء علی مسیلمة الکذاب.

کان من ابرز المعارضین لسیاسة عثمان، و هو صاحب القولة المشهورة یخاطب فیها جیوش الفتح الاسلامی قائلا: انا ترکما الغزو و وراءنا – أی الجهاد ضد عثمان – القی معاویة القبض علیه و سجنه و فر من السجن و لکنه لقی مصرعه علی أیدی جلاوزة معاویة فی مصر.

[۷۳] فکر قسطنطین الثالث باستعادة سوریا و فلسطین مستغلا نشوب الحرب الأهلیة و اندلاع الخلافات الداخلیة، و بدأت حشود الرومان العسکریة بالتحرک، و اندفع معاویة الی بعد الحدود فی الخنوع و الخیانة فلم یکتف باعادة الاسری الروم بل زاد علی ذلک تعهده فی دفع أتاوة سنویة للقسطنطینیة، کان من ضمنها تقدیم ثمنمئة من الخیول العربیة الاصیلة کل عام.

[۷۴] الأخبارالطوال: ص ۱۶۴.

[۷۵] قال عمرو: «لست أرى لک أن تـدعو أهل الشام الى الخلافة فان فى ذلک خطر عظيم، حتى تتقدم قبل ذلک بالتوطين للأشـراف منهم....بأن عليا قتل عثمان، فانها كلمة جامعة لک اهل الشام.»

و لم يتوان معاويه فى اسـتثمار قميص عثمان لحظة واحدة؛ حتى يمكن لاقول أن معاوية لم يرتد قميص الخلافة الا بعد أن حصل على ذلک القميص الملطخ بالدماء...

و لايملک الباحث من الأدلة المقنعة ما يمنعه من الاعتقاد باشتراک معاوية - و لو من وراء سـتار - فى التآمر على قتل عثمان الذى بلغ من العمر عتيا!.

[۷۶] توفى عمرو بن العـاص سـنة ۴۳ و لم يحكم مصـر التى تهـافت عليهـا سوى عـامين و اشـهر فخسـر بـذک دنياه أيضا و ذلک هو الخسران المبين.

[۷۷] فر عبيدالله بن عمر بن الخطاب قاتل الهرمزان الى معاوية و لقى حتفه فى صفين.

[۷۸] كلمة مأثورة للامام على عليه‌السلام.

[۷۹] الحوادث التى انتهت بمصرع عثمان، و حتى استشهاد الامام على عليه‌السلام.

[۸۰] لم يكن ما حـدث فى صـفين معركـة عسـكرية ضاريـة و أن بـدت فى هذا الاطار، و لم يكن صـرعا سياسيا عنفا و أن اتخذ هذا الشكل الرهيب من الصراع..

انه تحول حضارى فى مسار التاريخ الاسلامى أو تحول تاريخى فى منحنى الحضارة الاسلامية.

يقول المفكر الجزائرى الراحـل مالـک بن نبى: «ان معركـة مصـفين فى الواقع تمثـل تذبـذب المجتمع الاسـلامى فى الاختيار..الاختيار الحتم بين على و معاوية...بين النظام الاسلامى الديمقراطى فى المدينة و بين الحكم المستبد الغاشم فى دمشق..

و لكن المجتمع الاسـلامى و مع الأسف اختار الطريق الـذى يؤدى به الى القابلية للاسـتعمار ثم الى الاسـتعمار / الفكرة الافروآسـيوية: ص ۱۱۱.

[۸۱] نهج‌البلاغة: الخطبة ۳۲.

[۸۲] تبـادل الطرفان العديـد من الرسائل ورد بعضـها فى كتب التاريـخ، و ضم نهج‌البلاغـة العديـد من رسائل الامام عليه‌السـلام و هى توضع بما لايقبل الشک مدى انحراف معاوية و عناده.

[۸۳] اشارة الى حديث النبى صلى الله عليه وآله: انا مدينة العلم و على بابها.

[۸۴] يقول الشـريف الرضـى: «و ابتـداء هـذا الكلاـم مروى عن رسول‌الله صـلى الله عليه وآله و قـد قفاه أمير المؤمنين عليه‌السـلام بابلغ الكلام و تتمه باحسن تمام من قوله: «و لايجمعهما غيرک...» / نهج‌البلاغة.

[۸۵] احد السبعين الذين بايعوا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله فى وادى العقبة قرب مكة.

[۸۶] مكان فى البادية على طريق الشام.

[۸۷] نهج‌البلاغـة: الخطبة ۴۸- و قـد عبر الامـام عن نهر الفرات بالنطفـة، و هـذا مـا جعل الشـريف الرضـى يعلق قائلا: بانها «من غريب العبارات و عجيبها».

[۸۸] مدينة قديمة فى وادى الرافدين ورد ذكرها فى القرآن الكريم.

[۸۹] يضم الوادى اطلال مدينة رومانية صغيرة بالقرب من ضفاف الفرات.

[۹۰] بلغ تعدادها عشرة آلاف جندى.

[۹۱] خرائب المدينة الرومانية.

[۹۲] قـال الوليـد: امنعهم كما منعوه عثمان..اقتلهم عطشا...قتلهم الله و قال عبـدالله بن سـرح: امنعهم الماء الى الليل..لعلهم ينصـرفوا الى

طرف الغیظة، فیکون انصرافهم هزیمة.

[۹۳] التی الجیشان فی ربیع الثانی ۳۷ ه - تموز / آب ۶۵۷ م.

[۹۴] شواطیء الفرات.

[۹۵] تذکر مصادر التاریخ أن جنود الطرفین کانوا یختلطون فیما بینهم فی تلک المنطقة دون مشاکل و ربما تبادل بعضهم کلمات الود مع تمنیات فی عدم وقوع الحرب و عودة السلام.

[۹۶] قراء القرآن و کانوا طبقة محترمة آنذاک.

[۹۷] جیش معاویة.

[۹۸] کان وجود عمار بن یاسر فی جبهة الامام علی قد شکل احراجا شدیدا لمعاویة للحدیث النبوی المشهور: عمار تقتله الفئة الباغیة.

[۹۹] بلغ من العمر الرابعة و التسعین.

[۱۰۰] شخصیة دمویة و هو الذی اجتاح المدینة سنة ۶۳ ه.

[۱۰۱] جرت مبارزة فردیة اذ خرج فارس مقنع من جیش الامام متحدیا فخرج أبوه و هو لایعرفه و فی اثناء الصراع عرف کل منهما الآخر و توقفا عن القتال.

[۱۰۲] کان مرکز القیادة فوق رابیة مشرفة، و لم یشترک معاویة فی المعارک طیلة الحرب مستعیضا بمولاه الحریث و کان یرتدی بزة معاویة موهما من یراه بأنه معاویة؛ و قد لقی حریث هذا مصرعه علی ید الامام بعد أن اغراه عمرو بن العاص بمبارزته.

[۱۰۳] ظلت الحادثة موضع تندر لدی الفریقین أیاما.

[۱۰۴] قبائل ذات بأس.

[۱۰۵] طرح مقاتلوها حجرا و قالوا: لانولی الدبر أو یولی معنا هذا الحجر!.

[۱۰۶] احدث استشهاده دویا فی المعسکرین، و کان عمار ظامئا فطلب ماء فجاءته امرأة بقدح من لبن، فشرب منه مستبشرا وهتف: الیوم القی الأحبة..محمد و حزبه..

واردف:

اخبرنی رسول‌الله أن آخر رزقی من الدنیا صیخة لبن (مزیج من الحلیب والماء) و قد استشهد عمار و هو فی الرابعة و التسعین من عمره قضاه فی الجهاد المستمر؛ و قد سبب استشهاده احراجا شدیدا لمعاویة بعد أن وضح لکل ذی لب الباغی من الفریقین.

[۱۰۷] سهل بن حنیف الأنصاری.

[۱۰۸] نهج‌البلاغة: الخطبة ۱۰۷.

[۱۰۹] قبائل ربیعة.

[۱۱۰] کنز العمال ۱۰:۳۴۸.

[۱۱۱] تحول میران المعرکة لصالح أهل العراق بعد استشهاد عمار بن یاسر (رض).

[۱۱۲] بشر به رسول‌الله صلی الله علیه وآله قبل رؤیته بقوله: ان خیر التابعین رجل یقال له أویس، و تساءل السملمون عن هذ الرجل لم یر رسول‌الله بعد فقال صلی الله علیه وآله: یأتی علیکم أویس بن عامر مع امداد أهل الیمن من مراد ثم من قرن، و کان به برص فبرأ منه الا ـ موضع الدرهم، له والدة هو بهابر لو اقسم علی الله لأبره..و التفت الی عمر ابن الخطاب فقال: «فان استطعت ان یستغفر لک فافعل.

ظهر أویس فی زمن عمر و اختار الکوفة سکنا و عاش زاهدا عابدا...حتی اذا بویع الامام بالخلافة اذا بهذا التابعی الجلیل ینتفض لیقف الی جانب علی..و کان الرجل رقم مئة من الذین بایعوا الامام علی الموت فی صفین:

و عند ما هتف الامام معلنا بدأ الهجوم:

يا خيل الله اركبى و ابشرى..

استل أويس سيفه و تقدم يقاتل الفئة الباغية فجاءه سهم غادر اصاب قلبه فهوى على الأرض شهيدا / الاصابة: ۱:۱۱۷.

[۱۱۳] صوت القوس و هو يشبه صوت الكلب دون نباح.

[۱۱۴] كان على لا يقتل أحدا الا كبر.

[۱۱۵] كان معاوية جاحظ العينين.

[۱۱۶] رفع ما يقارب من خمسمئة مصحف! و علت هتافات فى معسكر الشام تدعو الى السلام و وقف نزيف الدم!.

[۱۱۷] يصف الامام تلك اللحظات الرهيبة بقوله:

فتداكوا على تداك الابل الهيم، يوم وردها، و قد ارسلها راعيها و خلعت مثانيها حتى ظننت انهم قاتلى، أو بعضهم قاتل بعض لدى / نهج‌البلاغة الخطبة رقم ۵۴.

[۱۱۸] و فى هذا يقول الامام: صاحبكم يطيع الله و انتم تعصونه، و صاحب أهل الشام يعصى الله و هم يطيعونه!

و تبلغ مرارة الامام الذروة عندما يقول: «لو ددت و الله أن معاوية صارفنى بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ منى عشرة منكم و اعطانى رجلا منهم!».

[۱۱۹] صلح الحديبية بين النبى و قريش سنة ۶ ه.

[۱۲۰] بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وآله يوم الاثنين و صلى على يوم الثلاثاء.

[۱۲۱] «يقول عبدالله بن سلمة: رأيت عمارا يوم صفين شيخا كبيرا آدم طوالا أخذ الحربة بيده و يده ترعد و يقول: و الذى نفسى بيده لقد قاتلت هذه الراية مع رسول‌الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرات و هذه الرابعة / البداية و النهاية»: ۲۹۲.

[۱۲۲] كل فساد كان فى خلافة أميرالمؤمنين على و كل اضطراب حدث فأصله الأشعث / ابن ابى الحديد ۴۲۸: ۱.

[۱۲۳] قال الامام: انزلنى الدهر حتى قيل معاوية و على.

[۱۲۴] سنة ۳۸ ه.

[۱۲۵] بدأ تيارا الخوارج بالظهور بعد لعبة رفع المصاحف مباشرة، و منذ تلك اللحظة بدأ أول تصدع عقائدى خطير فى تاريخ الاسلام.

[۱۲۶] من المؤسف اننا لم نجد لدى الضمير العربى المعاصر اهتماما يذكر بكارثة صفين فهى تمر بشكل عادى الى حد ما فى مسار التاريخ؛ باستثناء ما يجده المرء لدى المفكر الراحل مالك بن نبى فى كتابه «شروط النهضة الجزائرية» عندما يجعل من سنة ۳۸ منعطفا حضاريا فى مسار التاريخ الاسلامى أو نقطة تحول كبرى فى طريق الحضارة الاسلامية.

[۱۲۷] خطب الامام مرة فاعترض الاشعث على بعض كلامه قائلا: يا أمير المؤمنين: هذه عليك لا لك.

فخفض الأمام عليه‌السلام اليه بصره و قال:

ما يدريك ما على مما لى، عليك لعنة الله و لعنة اللاعنين! حائك ابن حائك!...منافق بن كافر!

و كشف الامام ماضيه التعيس:

و الله لقد اسرك الكفر مرة والاسلام آخرى! فما فداك من واحدد منهما مالك و لاحسبك؛ و ان امرأ دل قومه السيف و ساق اليهم الحتف لحرى أن يمقته الأقرب، و لا يأمنه الابعد.

و قد اشار الامام الى حوادث اليمامة عندما غدر الاشعث بقومه، باتفاقه مع خالد ابن الوليد، اذ غرر بقبيلته حتى أوقع بهم خالد، فسماه قومه «عرف النار» و هو لقب الغادر عندهم.

[۱۲۸] عبدالله بن عمر بن الخطاب.

[۱۲۹] الأخبار الطوال / أبوحنيفة الدينورى: ص ۱۹۹.

[۱۳۰] تحدث ابن‌عباس مع الأشعرى على انفراد قائلا:

ويحك يا أباموسى، أحسب و الله عمرا قد خدعك، فان كنتما قد اتفقتما على شىء فقدمه قبلك ليتكلم، ثم تكلم بعده فان عمرا رجل غدار، و لست آمن أن يكون قد اعطاك الرضى فيما بينك و بينه، فاذا قمت به فى الناس خالفك.

و لم يزد الأشعرى أن قال:

قداتفقنا على أمر لايكون لأحدنا على صاحبه فيه خلاف ان شاء الله!.

[۱۳۱] صعد عمرو بن العاص المنبر كشر عن انيابه قائلا:

ان هذا قد قال ما سمعتم، و خلع صاحبه، ألا و أنى قد خلعت صاحبه كما خلعه، و اثبت صاحبى معاوية.

فصاح أبوموسى، و قد شعر بالعار:

مالک لا وفقک الله، انما مثلک كمثل الكلب ان تحمل عليه يهلث أو تتركه يلهث.فرد ابن العاص ساخرا:

و مثلک مثل الحمار يحمل اسفارا.

[۱۳۲] الأبل المقصومة الظهر.

[۱۳۳] لو كان يطاع لقصير أمر» مثل عربى.

[۱۳۴] الشاعردريد بن الصمة.

[۱۳۵] نهج‌البلاغة الخطبة: ۴۰.

[۱۳۶] شدد الامام مرة أخرى على رفضه مسألة التحكيم قائلا:

من دعا الى هذه الحكومة فاقتلوه و لو كان تحت عمامتى هذه، ثم فند شرعة النتائج التى تمخضت عن لقاء دومة الجندل:

الا ـ ان هذين الرجلين الخاطئين اللذين اخترتموهما حكمين قد تركا حكم الله، و حكما يهوى انفسهما بغير حجة و لا حق معروف، فاماتا ما أحيان القرآن و احيا ما أماته...»

ثم اصدر أوامره بالاستعداد الاستئناف رحلة الجهاد ضد القاسطين:

فتأهبوا للجهاد و استعدوا للمسير و اصبحوا فى عساكركم ان شاء الله / الطبرى ۶:۴۳.

[۱۳۷] ارتكب الخوارج جرائم ينـدى لها جبين لانسانيـة، فلم يكتفوا بقتل الصحابى عبد الله بن خباب فعمدوا الى بقر زوجته و كانت حاملا فقتلوها مع جنين لم ير النور بعد، و قتلواامرأة اخرى هى أم سنان الصيداوية.

[۱۳۸] كانت التقارير قد أفادت بعبور الخوارج الجسر، فقال الامام: مصارعهم دون النطفة (النهر) و الله لايفلت منهم عشرة و لا يهلک منكم عشرة.

[۱۳۹] عندما أراد الامام التحرك صوب «جسر النهروان» جاءه من يدعى العلم بالنجوم فقال: انک ان سرت يا أميرالمؤمنين فى هذا الوقت، خشيت الا تظفر بمرادک من طريق علم النجوم:

فاجاب الامام مستنكرا:

اتزعم انک تهدى الى الساعة التى من سار فيها صرف عنه السوء؟! تخوف من الساعة التى من سار فيها حاق به الضر؟! فمن صدقک بهذا فقد كذب القرآن و استغنى عن الاستعانة بالله فى نيل المحبوب و دفع المكروه؛ و تبتغى فى قولک للعامل بامرک أن يوليک الحمد دون ربه، لأنک - بزعمک - انت هديته الى الساعة التى نال فيها النفع و أمن الضر!!! و التفت الامام الى جيشه وهتف: ايهاالناس اياكم و تعلم النجوم، الا ما يهتدى به فى بر أو بحر، فانها تدعو الى الكهانة؛ و المنجم كالكاهن و الكاهن كالساحر و الساحر

كالكافر و الكافر فى النار؛ سيرا على اسم الله.

[۱۴۰] بدأ معاوية غاراته بتجريد حملة الى مصر بقيادة عمرو بن العاص، و فى الوقت نفسه تمكن الاثنان من تدبير محاولة اغتيال ناجحة و تمت تصفية «الأشتر» و هو فى طريقة لانقاذ مصر؛ و قد حاول محمد بن ابى‌بكر و الى مصر آنذاك الدفاع و لكنه خسر المعركة و القى القبض عليه فى خربة مجردا من السلاح و قد بلغت وحشية معاوية بن خديج انه كان يتفنن فى قتله و ادخل الشاب المؤمن فى جوف حمار ثم اضرمت النار و هو ما يزال يحتضر..ان الحيوان المتوحش يأنف من ارتكاب هذه الفظائع، و قد تألم الامام لمصرعه على هذا النحو المؤسف قائلا: «كان لى ربيبا و كان الى حبيبا».

[۱۴۱] مع بداية عام ۳۹ ه بدأ زمن الرعب عندما راح معاوية يشن الغارات التى تستهدف الاذلال و تمريغ الكرامة الاسلامية فى الأوحال فقد:

- أغار النعمان بن بشير على عين تمر.

- و اغار النعمان بن عوف على هيت و الانبار و المدائن.وقام بعمليات نهب واسعة.

- و اغار عبدالله بن سعد على تيماء.

- و اغار الضحاك بن قيس على مناطق عديدة حددها معاوية، و أمر بقتل كل من يجده فى طاعة على أميرالمؤمنين.

- و تأتى غارة بسر بن ارطاة الجلاد المعروف لتشكل ذورة الارهاب، فقد اغار هذا الدموى على المدينة و أجبر أهلها على البيعة لمعاوية و هدم بعض الدور فيها، ثم النطلق الى مكة و منها الى اليمن فارتكب مذبحة بحق الابرياء و اهتز الضمير الانسانى لدى اقدام هذا المتوحش على قتل طفلين صغيرين لاذنب سوى انهما ابنا عبيدالله ابن‌عباس، كما عرض الفتيات المسلمت للبيع فى الأسواق / الطبرى ۶:۸۱.

[۱۴۲] طعنه الامام فى نتائج التحكيم، انطلاقا من حيثيات الحكم ترك الحكمين للقرآن القاعدة الأساس فى مسألة التحكيم نفسها يقول الامام: فلما ابيتم الا الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحييا ما احيا القرآن و أن يميتا ما أمات القرآن فان حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكما يحكم بما فى القرآن، و أن أبيا فنحن من حكمها براء.

[۱۴۳] حرس الحدود.

[۱۴۴] الذمية.

[۱۴۵] جرح.

[۱۴۶] النخيلة منطقة تحشد عسكرية خارج الكوفة..و الحادثة مسجلة فى نهج‌البلاغة.ک ۲۶۱.

[۱۴۷] عن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله انه قال لعلى: «ان الامة ستغدر بک بعدى» / كنزل العمال ۲۹۷: ۱۱.

[۱۴۸] آخر خطابات أميرالمؤمنين عليه‌السلام.

[۱۴۹] اشارة الى الفقرة الأخيرة من الخطاب.

[۱۵۰] بدأت الاستعدادات الحربية للعودة الى صفين..و تحركت الفراق العسكرية باتجاه «النخيلة» منطقة التحشد...حيث غادر الحسين عليه‌السلام الكوفة على رأس عشرة الاف مقالت، و أعقبه قيس بن سعد على رأس عشرة آلاف، و تلاهما أبوأيوب الانصارى على عشرة آلاف مقاتل أيضا.

[۱۵۱] كان يردد: انما هى ليال قلائل، و احب أن يأتى أمر الله و أنا خميص.

[۱۵۲] الاعوجاج و الخصام.

[۱۵۳] تصدى الامام بحزم الى الذين جعلوه الها، من دون الله! انه الجنون البشرى الذى لم يتحمل وجود الانسان المثال فرفعه الى مصاف الا له!.

[۱۵۴] نهج‌البلاغة: ۱۸۷.

[۱۵۵] ظل قبر الامام مجهولا حوالى قرن و نصف.

[۱۵۶] فى عام ۲۵۵ ه اندلعت ثورة الزنوج فى البصرة، و كان هؤلاء قد جلبوا من شرق افريقيا لاستصلاح الاراضى الزراعية فى الأهوار جنوب العراق، و قد استمرت ثورتهم حتى سنة ۲۷۰ و خلال هذه الفترة التى تمتد الى ۱۵ عاما وقعت عشرا المذابح و راح ضحيتها مئات الآلاف من الناس.

[۱۵۷] تذكر بعض المصادر التاريخية انه وجد لوح خشبى عليه كتابات تعود الى لغة شعب عاش قبل الطوفان.

[۱۵۸] كنز العمال ۶۹۳: ۱۳.

[۱۵۹] قال نوف البكالى: «و عقد للحسين عليه‌السلام فى عشرة آلاف، و لقيس بن سعد فى عشرة آلاف و لأبى أيوب الأنصارى فى عشرة آلاف، و لغيرهم على أعداد أخر و هو يريد الرجعة الى صفين..فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن‌ملجم لعنه الله، فتراجعت العساكر، فكنا كأغنام فقدت راعيها، تتخطفها الذئاب من كل مكان..» / نهج‌البلاغة - هامش الخطبة: ۱۸۲.

[۱۶۰] الاصابة: ۱:۳۳۰، مسند أحمد: ۵:۴۴.

[۱۶۱] باقر شريف القرشى: ۲: ۵۸-۵۷ راجع الملحق رقم (۱).

[۱۶۲] يقول معاوية فى وصف خصومه العراقيين: و «والله ما ذكرت عيونهم تحت المغافر بصفين الا لبس على عقلى» المسعودى هامش ابن الاثير: ۶:۶۷.

[۱۶۳] شرح النهج لابن أبى الحديد: ۴: ۷۲، ۱۳، ۵.

[۱۶۴] الملحق رقم (۲).

[۱۶۵] المصدر السابق.

[۱۶۶] المصدر نفسه.

[۱۶۷] السيوطى فى تاريخ الخلفاء: ۱۵۶.

[۱۶۸] ابن بكار، الموفقيات: ۲۵۰.

[۱۶۹] ابن سعد الطبقات: ۵۳:۳.

[۱۷۰] المصدر نفسه: ۹۶.

[۱۷۱] الطبرى: ۳۹۸:۴.

[۱۷۲] البلاذرى، انساب الاشراف: ۲۶:۵.

[۱۷۳] الطبرى: ۲۸۹:۴.

[۱۷۴] المصدر السابق: ۳۶۲.

[۱۷۵] اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى: ۱۵۶:۲.

[۱۷۶] السرخسى، المبسوط: ۱۶۹:۲.

[۱۷۷] الطبرى المصدر نفسه: ۳۶۱:۴.

[۱۷۸] الزبير بن بكار، الاخبار الموفقيات، ۳۳۵.

[۱۷۹] باقر شريف: ۶۳:۲.

[۱۸۰] المصدر السابق.

[۱۸۱] باقر شريف: المصدر السابق: ۶۸.

[۱۸۲] شرح النهج: ۴:۱۳.

[۱۸۳] معجم البلدان: ۸:۲۷۶.

[۱۸۴] شرح النهج: ۴:۱۴.

[۱۸۵] قيس بن سعد و سعيد بن قيس.

[۱۸۶] باقر شريف القرشى، المصدر نفسه، ۲:۷۴.

[۱۸۷] شرح النهج: ۴:۱۵.

[۱۸۸] المصدر السابق: ۴:۲۸.

[۱۸۹] باقر شريف: ۲:۱۴۴، مقاتل الطالبيين: ۳۵.

[۱۹۰] باقر شريف: ۲:۱۴۴، مقاتل الطالبيين: ۳۵.

[۱۹۱] الشيخ المفيد، الارشاد، ۷۱۰.

[۱۹۲] البحار: ۱۰:۱۱۴.

[۱۹۳] اليعقوبى: ۲:۱۹۱.

[۱۹۴] المصدر السابق.

[۱۹۵] الطبرى: ۶:۹۲.

[۱۹۶] الاصابة: ۲:۱۲.

[۱۹۷] ينابيع المودة: ۲۹۲.

[۱۹۸] اليعقوبى:۲:۱۹۱.

[۱۹۹] باقر شريف المصدر نفسه: ۲: ۱۰۷ - ۱۰۶.

[۲۰۰] الارشاد: ۱۷۰.

[۲۰۱] الفصول المهمة: ۱۲۵ (الملحق رقم ۳).

[۲۰۲] آل ياسين، صالح الحسين: ۲۸۵ الهامش.

[۲۰۳] شرح النهج: ۴:۱۶.

[۲۰۴] مناقب ابن شهر آشوب: ۲:۱۶۹.

[۲۰۵] الدينورى الاخبار الطوال: ۲۰۳.

[۲۰۶] شرح بن أبى الحديد: ۴:۶.

[۲۰۷] راجع المحلق (۴).

[۲۰۸] دير هند يقع قريبا من الحيرة عاصمة المناذرة و هند هى بنت النعمان بن المنذر اختارت أن تكون راهبة فيه.

[۲۰۹] يس: آية ۷۰.

[۲۱۰] أنعم له: أى قال له نعم.

[۲۱۱] النصف: الانصاف.

[۲۱۲] راغمهم: نابذهم و عاداهم.

[۲۱۳] الأحزاب: هى التى تحزبت على قتال رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم من قريش و غطفان و بنى‌مرة و بنى‌أشجع و بنى‌سليم و بنى‌أسد فى غزوة الأحزاب و هى غزوة الخندق و كان قائدهم العام أباسفيان و ذلك فى السنة الخامسة من الهجرة.

[۲۱۴] آب الی الله رجع عن ذنبه و تاب فهو أواب مبالغة.

[۲۱۵] النائرة: العداوة و البغضاء.

[۲۱۶] شرح ابن أبی الحدید: ۱۲:۴.

[۲۱۷] الحجی: العقل و الفطنة.

[۲۱۸] لم آس: ای لم أحزن و ذکر ابن کثیر فی البدایة و النهایة أن معاویة أظهر الحزن و الأسی و لاتوجع بمقتل الامام أقول:

أولا: لایتفق مع ما ذکره معاویة من عدم حزنه بموت الامام.

و ثانیا: انه لایتفق مع سیرة معاویة و عدائه السافر للامام الذی جعل سبه فریضة من فرائض الاسلام و تتبع شیعه و اصحابه فقتلهم تحت کل حجر و مدر.

[۲۱۹] أعشی بنی قیس: هو الأعشی الکبیر اسمه (میمون) بن قیس ولد بقریة بالیمامة یقال لها منفوحة و فیها داره و قبره یو قال انه کان نصرانیا و هو أول من سأل بشعره: وفد الی مکة یرید النبی صلی الله علیه وآله وسلم و قد مدحه بقصیدة أولها:

ألم تغتمض عیناک لیلة أرمدا

و بت کما بات السلیم مسهدا

و منها:

أجدک لم تسمع و صاة محمد

نبی الا له حین أوصی و أشهدا

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقی

و لاقیت بعد لاموت من قد تزودا

ندمت علی ألا تکون کمثله

و أنک لم ترصد بما کان أرصدا

فلقیه أبو سفیان فی الطریق فأخبره بقصته فجمع له مائة من الابل ورده عن قصده فلما صار بقاع منفوخة رمی به بعیره فقتله و من شعره:

قد یترک الدهر فی خلقاء راسیة

و هیا و ینزل منها الأعصم الصدعا

و کان شیء الی شیء ففرقه

دهر تعود علی تفریق ما جمعا

الخلقاء: لاصخرة الثابتة.

الأعصم: الذی فی یده بیاض.الصد.الفتی من الوعول جاء ذلک فی معجم الشعراء للمرزبانی (ج ۲ ص ۴۰۱).

[۲۲۰] مزبد: مشتق من أزبد البحر ازبادا فهو مزبد (بالتحریک) و هو کالرغوة.الاکام: جمع أکمة کقصبة و هی التل.

[۲۲۱] البدور: جمع مفرده بدرة کوردة و هی کیس فیه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دینار.

[۲۲۲] الفصول المهمة لابن الصباغ ص ۱۴۵، کشف الغمة للأربلی ص ۱۷۰.

[۲۲۳] الظنین: المتهم.و یروی (و استر من الظنین ذنبه بما لایثلم دینک).

[۲۲۴] و فی روایة (و استعمل) و فی أخری (و وال).

[۲۲۵] وفی روایة (تدعو).

[۲۲۶] الحرب خدعة: مثلثة الخاء، و بضمهان مع فتح الدال أی تنقضی بخدعة.

[۲۲۷] آسی: أی سوی.

[۲۲۸] خسفا: ای ذلا.

[۲۲۹] شرح ابن أبی الحدید: ۸:۴؛ رسائل جمهرة العرب: ۱:۲.

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتَّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامۀ المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسۀ "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسۀ

ی) إقامۀ دورات تعلیمیّۀ عمومیّۀ و دورات تربیۀ المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلۀ السَّنَۀ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایۀ"القائمیّۀ"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّۀ الشمسیّۀ (=۱۴۲۷ الهجریۀ القمریّۀ)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّۀ الوطنیّۀ: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّۀ و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظۀ هامّۀ:

المیزانیّۀ الحالیّۀ لهذا المرکز، شَعبیّۀ، تبرّعیّۀ، غیر حکومیّۀ، و غیر ربحیّۀ، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّۀ و العلمیّۀ الحالیّۀ و مشاریع التوسعۀ الثّقافیّۀ؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّۀ) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحۀ بقیّۀ الله الأعظم (عَجَّلَ اللّهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللّهُ تعالی؛ و اللّهُ ولیّ التوفیق.


مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩